الصيد الثمين

من خاطر ابن الجوزي الأمين

(الحكم الجوزية)



تقديم

أ.د/ علي عبد الباسط مزيد

عميد كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات

بني سويف- جامعة الأزهر

إعداد

محمد بن كمال كامل الغيضاني

دار اللؤلؤة

للنشر والتوزيع

المنصورة - مصر

الصيد الثمين

من خاطر ابن الجوزي الأمين

(الحكم الجوزية)

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م

رقم الإيداع: ٢٠١٨/١٣٤٥

الترقيم الدولي: ٩٧٨/٩٧٧/٨٥٢/١٨٩/٦

الناشر

دار اللؤلؤة للنشر والتوزيع

المنصورة - مصر

٢٣ شارع محمد عبده- خلف الجامع الأزهر- القاهرة

٠٠٢٢٥١١٧٧٤٧

فرع المنصورة

شارع الهادي- عزبة عقل- المنصورة

ت: ٠٠٢٠١٠٠٧٨٦٨٩٨٣ -٠٠٢٠١٠٠٧٧١١٦٦٥

واتس: ٠٠٢٠١٠٠٧٨٦٨٩٨٣

Dar_Elollaa@hotmail.com

الصيد الثمين

من خاطر ابن الجوزي الأمين
(الحكم الجوزية)

تقديم

أ.د/ علي عبد الباسط مزيد

عميد كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات

بني سويف – جامعة الأزهر

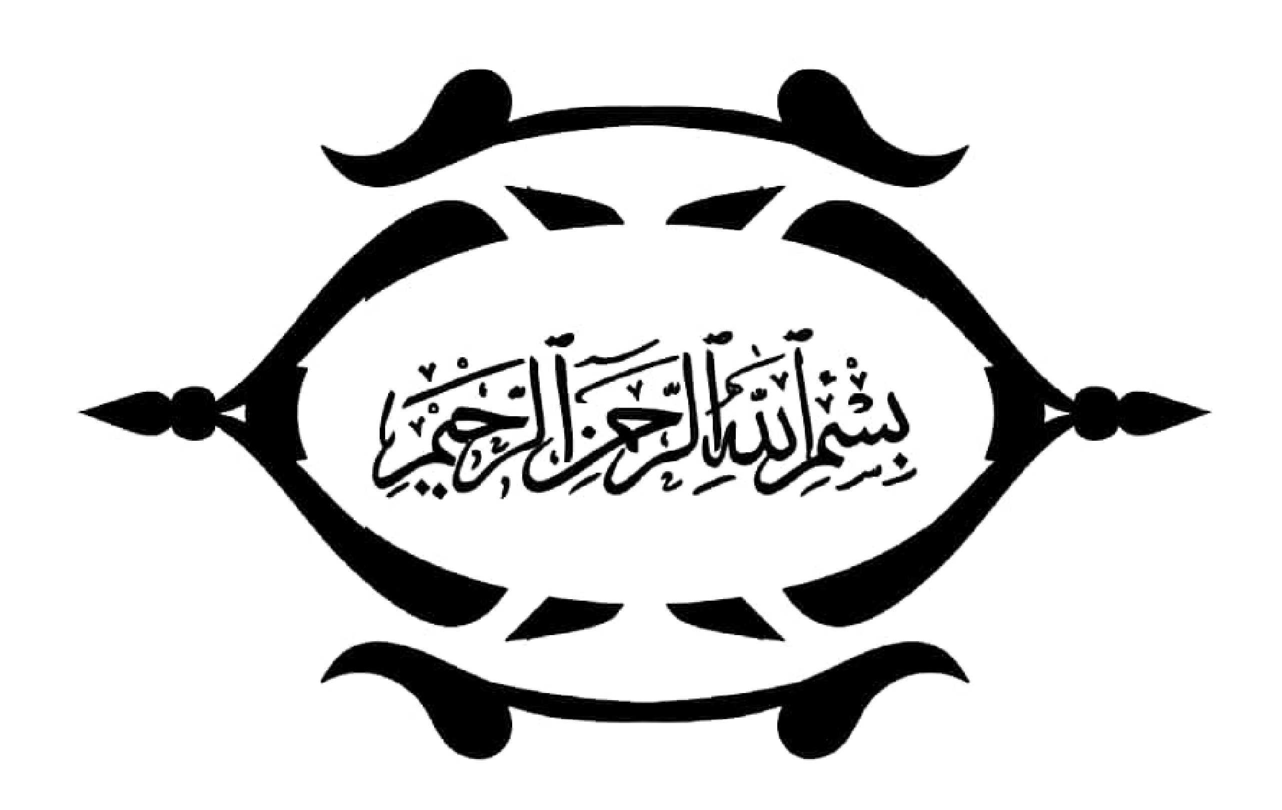
إعداد

محمد بن كمال كامل الغيضاني



دار اللؤلؤة للنشر والتوزيع

المنصورة - مصر


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

بعد حمد الله، والصلاة والسلام على رسوله ﷺ - فإنه أصدق الحديث كتابُ الله، وأحسن الهدي هَدْيُ محمَّدٍ بن عبد الله ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النار.

أما بعد؛ فقد أُهدىَ إليَّ كتابٌ «صيد الخاطر» للإمام ابن الجوزي، فجعلته في مكتبتي حتى شاء الله أن أقرأه، فوقع لي من الاندهاش ما لم أجده عند قراءة غيره، وكأني قد ملكتُ كنزًا.

لما يحويه من الحكم والخواطر، والخبرات الحياتية، التي تزاحمت في نفس صاحبها حتى فاضت، فراح يقيدها، فجاء «صيد الخاطر» فياله من صيدٍ ثمين من قناص ماهر، يعمل وفقًا لكلام ربه، وسنة نبيه ﷺ وهكذا ينبغي أن يفعل العقلاء من أهل العلم. فإن الخواطر تمر على العقول مرَّ الكرام، فينبغي أن نكون صيادين ماهرين. وهذا ما اتبعه مع نفسي، فإني أجعل من عقلي مصيدة لأفكاري، وأصنع بقلمي وأوراقي صناديق لها حتى لا تطير.

فلما كان كتاب الإمام «ابن الجوزي» كتابًا عظيمًا وصيده صيدًا ثمينًا، نصبت شباكي حتى أصيدَ من خاطره ما تعمُّ به الفائدة، وإن كانت كل كلمة بداخله توزن بموازين الذهب، ولكن لم أُلق شباكي، ولم أُوجه سهامي، إلا للخلاصة البهية، والمعلومة الذكية، والحكمة القوية، حتى تكون الجرعة على الأذهان خفيفة، وعلى الأمراض عنيفة، فنُقوم ما استطعنا تقويمه، وجعلت كتابي بعنوان: «**الصيد الثمين من خاطر ابن الجوزي الأمين**» سائلًا ربي العفو والغفران.

كتبه

محمد بن كمال كامل الغيضاني

تقريـظ

الحمد لله تعالى حمدًا كثيرًا مبارك فيه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله . أرسله ربه بالهدى ودين الحق. فبلغ الرسالة. وأدىَّ الأمانة. وجاهد في سبيل الله. حتى أتاه اليقين. ورضي الله عن آل بيته الطيبين وعن صحابته الكرام ونم تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

فهذا كتاب جيد في بابه وقع اختيار جامعه على كتاب مهم للإمام ابن الجوزي والمُسَمَّى " صيد الخاطر" الذي ضمنه مؤلفه الحكم والخاطر والخبرات الحياتية التي تزاحمت في نفسه حتى فاضت. وقد كان لهذا الكتاب مكانة عند مؤلفه. ولهذا وصفه بأنه كتاب عظيم وصيد ثمين.

ومن أجل ذلك حرص الناس على اقتنائه والإفادة منه. وشاع بينم واشتهر: فرأى الأخ الأفضل(محمد كمال كامل الغيضاني). تيسيرًا على الناس أن يلتقط من هذا الكتاب جملًا وعبارات موجزة تتضمن الحكم الواضحة والخبرات المهمة؛ فقرأ الكتاب من أوله إلى آخره وتأمل كلماته وجمله وعباراته. وانتقى منها ما رآه مفيدًا ومؤثرًا مراعيًا الاختصار قدر الاستطاعة. ولا يعني هذا الاستغناء بهذا الاختصار عن الكتاب الأصل؛ فتبقى أهميته محفوظة والرجوع إليها مهمًا.

فجزى الله المؤلف خيرًا. وبارك الله في المُخْتَصر. وصل الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

علي عبد الباسط مزيد

عميد كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات

بني سويف – جامعة الأزهر

الأربعاء: ٢٠١٦/١١/٣٠

ترجمة ابن الجوزي

هو الشيخ الجليل والإمام الفاضل جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبد الله بن حمادي بن أحمد بن محمد بن جعفر البكري التيمي القرشي البغدادي الحنبلي.

والجوزي نسبة إلى جده جعفر الجوزي، وقال ابن خلكان: «والجَوزي: بفتح الجيم وسكون الواو بعدها زاي، هذ النسبة إلى فُرضة الجَوز، وهو موضع مشهور».

وتعد حياته رضي الله عنه سلسلة من الكفاح والسعي الدءوب في طلب العلم وتحصيله، فقد عُرف من صغره بالجد والاجتهاد، وبالفضيلة والسيرة الزكية.

ولم يعرف بالضبط عام مولده، بيد أنه ما بين سنة ثمانية إلى عشرة ما بعد المائة الخامسة للهجرة.

وتُوفي والده وله من العمر ثلاث سنين، وانصرفت عنه أمه، فتربى في كنف عمته التي اعتنت به، ثم حملته بعد أن ترعرع إلى الحافظ أبي الفضل ابن ناصر، فحفظ على يديه القرآن، وسمع منه الحديث، وأحب الوعظ وهو صغير، ثم جلس للوعظ وهو صبي صغير، واعتنى به الشيخ ابن الزغواني، ثم تفقه علي ابن الدينوري الحنبلي وابن الفراء، وتعلم اللغة على يد أبي المنصور بن الجواليقي.

ولم يرحل لطلب الحديث، ولكنه حفظ (المسند) للإمام أحمد، وطبقات ابن سعد، وتاريخ الخطيب، والسنن الأربعة، والصحيحين، وعدة مؤلفات عالية حتى لُقب بالحافظ رحمه الله.

وقد كان- رحمه الله- شغوفًا بالعلم يحصله حتى قال: «ولو قلت إني طالعت عشرين ألف مجلد كان أكثر، وأنا بعد في الطلب، فاستفدت. بالنظر فيها من ملاحظة سير القوم، وقدر هممهم وحفظهم وعبادتهم وغرائب ما لا يعرفه من لم يطالع، فصرت أستزري مال الناس فيه، وأحتقر همم الطلاب».

هذا وقد رزقه الله تعالى قوة حافظ، وذهنا وقادًا، حتى كان يرتجل الوعظ دو إعداد مسبق.

ولم تحجزه الشيخوخة عن الوعظ فعاد لمجلسه، ولم يمض من الوقت كثيرًا حتى كانت ليلة الجمعة بين العشاءين في اليوم الثالث عشر من شهر رمضان سنة سبع وتسعين وخمسمائة هجرية فتوفي ابن الجوزي وله من العمر سبعة وثمانون سنة، ثم صلى عليه ولده أبو القاسم علي، وكانت جنازته مشهودة حضرها عدد غفير من الناس يقرءون القرآن على قبره، وقد أوصى أن يكتب على قبره:

يـــا كثـــير العفـــو عمـــن ❊ كثـــر الـــذنب لديـــه
جـــاءك المـــذنب يرجـــوك ❊ صـــفح عـــن جـــرم يديـــه
أنـــا ضـــيف وجـــزاء الـــ ❊ ضـــيف إحســـان إليـــه

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المصنف

قال الشيخ الإمام العالم أبو الفرج، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي رحمة الله عليه:

الحمد لله حمدًا يبلغ رضاه، وصلى الله على أشرف من اجتباه، وعلى من صاحبه ووالاه ، وسلم تسليمًا لا يدرك منتهاه.

لما كانت الخواطر تجول في تصفح أشياء تعرض لها، ثم تُعرض عنها فتذهب، كان من أولى الأمور حفظ ما يخطر لكيلا ينسى وقد قال عليه الصلاة والسلام: «قيِّدوا العلم بالكتابة».

وكم قد خطر لي شيء، فأتشاغل عن إثباته فيذهب، فأتاسف عليه، ورأيت من نفسي أنني كلما فتحت بصر التفكر سنح له من عجائب الغيب ما لم يكن في حسابه فأنثال[1] عليه من كثيب التفهيم[2] ما لا يجوز التفريط فيه.

فجعلت هذا الكتاب قيدًا – لصيد الخاطر– والله ولي النفع إنه قريب مجيب.

---

(١) أنثال: أنكب عليه وأنصب لاستخراج المعنى البعيد والقريب.

(٢) كثيب التفهيم: الكثيب هو ما احدودب من الرمال، وقصد الرجل من كلماته: أنه ينكب على تل التفهيم فيخرج منه المعاني النافعة قريبها وبعيدها.

فصل: أثر المواعظ في القلوب

١- قد يعرض عند سماع المواعظ للسامع يقظة، فإذا انفصل عن مجلس الذكر عادت القساوة والغفلة!

٢- أن المواعظ كالسياط، والسياط لا تؤلم بعد انقضائها إيلامها وقت وقوعها.

٣- حالة سماع المواعظ يكون الإنسان فيها مزاح العلة، قد تخلي بجسمه وفكره عن أساب الدنيا، وأنصت بحضور قلبه.

٤- أرباب اليقظة يتفاوتون في بقاء الأثر فمنهم من يعزم بلا تردد، ويمضي من غير التفات، فلو توقف بهم ركب الطبع لضجوا، كما قال حنظلة عن نفسه: نافق حنظلة! ومنهم أقوام يميل بهم الطبع إلى الغفلة أحيانًا، ويدعوهم ما تقدم من المواعظ إلى العمل أحيانًا، فهم كالسنبلة تميلها الرياح! وأقوام لا يؤثر فيهم إلا بمقدار سماعه، كماء دحرجته على صفوان.

فصل: النفس بين جواذب الدنيا والآخرة

١- مثل الطبع في ميله إلى الدنيا كالماء الجاري فإنه يطلب الهبوط، وإنما رفعه إلى فوق يحتاج إلى التكلف. ولهذا أجاب معاون الشرع: بالترغيب والترهيب يقوي جند العقل.

فأما الطبع فجواذبه كثيرة، وليس العجب أن يَغْلِبَ! إنما العجب أن يُغلب.

فصل: تقدير العواقب

١- من عاين بعين بصيرته تناهى الأموى في بداياتها، نال خيرها، ونجا من شرها. ومن لم ير العواقب غلب عليه الحس، فعاد عليه بالألم ما طلب منه السلامة، وبالنصب ما رجا منه الراحة وبيان هذا في المستقبل، يتبين بذكر الماضي، وهو أنك لا تخلو، أن تكون عصيت الله في عمرك، أو أطعته.

٢- ليت الذنوب إذا تخلَّت خلت!

٣- راقب العواقب تسلم، ولا تمل مع هوى الحس فتندم.

فصل: متاع الغرور

١- من تفكر في عواقب الدنيا، أخذ الحذر، ومن أيقن بطول الطريق تأهب للسفر. ما أعجب أمرك يا من يوقن بأمر ثم ينساه، ويتحقق ضرر حال ثم يغشاه!

٢- أعجب العجائب، سرورك بغرورك، وسهوك في لهوك، عما قد خُبِئ لك.

٣- تغتر بصحتك وتنسى دُنُوَّ السقم، وتفرح بعافيتك غافلًا عن قرب الألم لقد أراك مصرعُ غيرك مصرعك، وأبدى مضجُع سواك- قبل المهات- مضجعك.

٤- قد شغلك نيل لذاتك عن ذكر خراب ذاتك.

٥- كم رأيت صاحب منزل ما نزل لحدَهُ، حتى نزل وكم شاهدت والي قصر وليه عدُّوه لما عُزل!

فصل: لا تحم حول الحمى

١- من قارب الفتنة بعدت عنه السلامة. ومن ادعى الصبر، وُكِّلَ إلى نفسه ورب نظرة لم تناظر! وأحق الأشياء بالضبط والقهر: اللسان والعين فإياك إياك أن تغتر بعزمك على ترك الهوى، مع مقاربة الفتنة، فإن الهوى مكايد

٢- كم من شجاع في صف الحرب اغتيل، فأتاه ما لم يحتسب ممن يأنف النظر إليه!

فصل: بين الإمهال وموت القلوب

١- أعظم المعاقبة ألا يحس المعاقب بالعقوبة. وأشد من ذلك نفع السرور بما هو عقوبة، كالفرح بالمال الحرام، والتمكن من الذنوب. ومن هذا حاله، لا يفوز بطاعة.

٢- من خَفيَّ عقوباتهم، سلب حلاوة المناجاة، ولذة التعبد. إلا رجال مؤمنون، ونساء مؤمنات، يحفظ الله بهم الأرض، بواطنهم كظواهرهم، بل أجلى، وسرائرهم كعلانيتهم، بل أحلى، وهممهم عند الثريا، بل أعلى. إن عُرفوا تنكروا، وإن رئيت لهم كرامة، أنكروا. فالناس في غفلاتهم، وهم في قطع فلاتهم[1]. تحبهم بقاع الأرض، وتفرح بهم أملاك السماء.

---

[1] الفلاة: الصحراء والمكان الواسع البعيد

فصل: علو الهمة

١- من علامة كمال العقل: علو الهمة! والراضي بالدون دنيء!

فصل: الاستعداد للرحيل

١- العاقل من أعطى كل لحظة حقها من الواجب عليه، فإن بغته الموت رؤي مستعدًا، وإن نال الأمل ازداد خيرًا.

فصل: الجزاء من جنس العمل

١- تفكرت، فرأيت كثيرًا من الناس في وجودهم كالعدم، لا يتصفحون أدلة الوحدانية، ولا ينظرون في أوامر الله تعالى ونواهيه، بل يجرون- على عاداتهم- كالبهائم. فإن وافق الشرع مرادهم وإلا فمعولهم على أغراضهم. وبعد حصول الدينار، لا يبالون، أمن حلال كان أم من حرام.

٢- قد يُهان الشيخ في كبره حتى ترحمه القلوب، ولا يدري أن ذلك لإهماله حق الله تعالى في شبابه. فمتى رأيت مُعاقبًا، فاعلم أنه لذنوب.

فصل: بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة

١- تأملت التحاسد بين العلماء، فرأيت منشأه في حب الدنيا، فإن علماء الآخرة يتوادون ولا يتحاسدون.

٢- علماء الدنيا ينظرون إلى الرياسة فيها، ويحبون كثرة الجمع والثناء. وعلماء الآخرة بمعزل من إيثار ذلك، وقد كانوا يتخوفونه، ويرحمون من بُلِي به.

فصل: حياة الأتقياء وأحوالهم

١- من أحب تصفية الأحوال، فليجتهد في تصفية الأعمال.

٢- اعلم- وفقك الله- أنه لا يحس بضربة مبنج، وإنما يعرف الزيادة من النقصان المحاسب لنفسه ومتى رأيت تكديرًا في حال فاذكر نعمة ما شُكرت، أو زلة قد فُعلت، واحذر من نفار النعم، ومفاجأة النقم، ولا تغتر بسعة بساط الحلم، فربما عجل انقباضه.

فصل: قيمة الوقت

١- ينبغي للإنسان أن يعرف شرف زمانه، وقدر وقته، فلا يضيع منه لحظة في غير قربه. ويقدم الأفضل فالأفضل من القول والعمل. ولتكن نيته في الخير قائمة، من غير فتور ربما لا يعجز عنه البدن من العمل.

٢- إذا علم الإنسان- وإن بالغ في الجد- بأن الموت يقطعه عن العمل، عمل في حياته ما يدوم له أجره بعد موته.

فصل: بين الغنى والفقر

١- الواجب على العاقل أن يحفظ ما معه، وأن يجتهد في الكسب ليربح مداراة ظالم، أو مداهنة جاهل.

٢- الكاسب ليكون المعطي لا المعطي، والمتصدق لا المتصدق عليه، فهي من مراتب الشجعان الفضلاء. ومن تأمل هذا، علم شرف الغنى ومخاطرة الفقر.

فصل: فوات حظوظ الدنيا

١- قعودك، متأسفًا على ما ناله غيرك، مع قصور اجتهادك- غاية العجز.

٢- الدنيا إنما تراد لتعبر لا لتعمر، وهذا هو الذي يدلك عليه علمك ويبلغه فهمك.

من فصل حافة الهاوية

١- (هناك) من يعلم الخطر ويذكره. غير أن الأخذ بالحزم أولى بالعاقل، كيف وقد علم أن هذا الملك الحكيم قطع اليد في ربع دينار، وهدم بناء الجسم المحكم بالرجم بالحجارة، لالتذاذ ساعة. وخسف، ومسخ، وغرق.

فصل: الجزاء حق وعدل

١- من تأمل أفعال الباري سبحانه، رآها على قانون العدل، وشاهد الجزاء مراصدًا، ولو بعد حين. فلا ينبغي أن يغتر مُسامحٌ، فالجزاء قد يتأخر.

٢- أعظم الخلق اغترارًا، من أتى ما يكرهه الله تعالى، وطلب منه ما يحبه هو.

٣- فليعلم العاقل أن ميزان العدل لا يحابي.

فصل: من حماقات الصوفية

١- إذا بحثنا عن الدنيا رأينا هذه الأرض البسيطة التي جُعلت قرارًا للخلق، تخرج منها أقواتهم، ويدفن فيها أمواتهم.

٢- حق على ذي الناقة أن يكرمها لتحمله.

٣- إن من ورد المشرب الأول، رأي سائر المشارب كدرة[1].

٤- الدنيا لو اجتمعت في لقمة فتناولها عالم يُفتي عن الله، ويخبر بشريعته، كانت فتوى واحدة منه يرشد بها إلى الله تعالى خيرًا وأفضل من عبادة ذلك العابد باقي عمره.

من فصل معاناة أصحاب العقول

١- أترى يظن الظان أن التكاليف غسل الأعضاء برطل من الماء، أو الوقوف في محراب لأداء ركعتين؟ هيهات! هذا أسهل التكليف. وإن التكليف هو الذي عجزت عنه الجبال.

٢- شجرة المحبة تحتاج إلى تربة في تربية طيبة تسقي ماء الخلوة من دولاب الفكرة.

فصل: رغبة النفس فيما حرّم الله

١- لو قعد الإنسان في بيته شهرا، لم يصعب عليه. ولو قيل له: لا تخرج من بيتك يومًا، طال عليه.

[1] كدرة: ضد الصفو والصفاء.

فصل: عزلة يُزينها الشيطان

١- أما زخرفة الأفاظ وتزويقها، وإخراج المعنى من مستحسن العبارة، ففضيلة لا رذيلة.

٢- الصواب توطئة المضجع قبل النوم، وجمع المال الساد للخلة قبل الكبر أخذًا بالحزم.

فصل: يُحبهم ويُحبونه

١- التذاذي بالعلم وإدراك العلوم أولى من جميع اللذات الحسية، فهو الذي علمني وخلق لي إدراكًا، وهداني إلى ما أدركته.

٢- كيف لا أحب من أنا به، وبقائي منه، وتدبيري بيده، ورجوعي إليه، وكل مستحسن محبوب هو صنعه وحسنَّه وزينه وعطف النفوس إليه.

٣- الكامل القدرة أحسن من المقدور، والعجيب الصنعة أكمل من المصنوع، ومعنى الإدراك أحلى عرفانا من المدرك.

٤- على قدر رؤية الصانع في المصنوع يقع الحب له.

فصل: من أسرار النكاح

١- النفس لا تميل إلى ما ألفت، وتطلب غير ما عرفت، ويتخايل لها في الجديد نوع مراد.

٢- يستحب للمراة ألا تبعد عن زوجها بُعدًا تنسيه إياها، ولا تقرب منه قُربًا يملها معه.

٣- من أراد نجابة الولد وقضاء الوطر فليتخير المنكوح.

٤- من فرغ من المهمات العارضة أقبل على المهمات الأصلية.

فصل: فلسفة الجزاء

١- رُبّ شخص أطلق بصره فحرمه الله اعتبار بصيرته أو لسانه فحرم صفاء قلبه، أو آثر شبهة في مطعمه فأظلم سره، وحرم قيام الليل وحلاوة المناجاة، إلى غير ذلك.

٢- لقد رأينا من سامح نفسه بما يمنع منه الشرع، طلبًا للراحة العاجلة، فانقلبت أحواله إلى التنغص العاجل، وعكست عليه المقاصد.

فصل: إخلاص السريرة

١- نظرت في الأدلة على الحق سبحانه وتعالى فوجدتها أكثر من الرمل، ورأيت من أعجبها أن الإنسان قد يخفي ما لا يرضاه الله عز وجل، فيظهره الله سبحانه عليه ولو بعد حين، وينطق الألسنة به وإن لم يشاهده الناس.

٢- ما أصلح عبد ما بينه وبين الخلق دون أن ينظر الحق، إلا انعكس مقصوده وعاد حامدهُ ذامًا.

فصل: الشر الطافح والخير القليل

١- أمارة النجابة طلب العلم للعمل به.

فصل: قهر الهوى

١- في قُوةَ قهرِ الهوى لذة تزيد على كل لذة، ألا ترى إلى كل مغلوب بالهوى كيف يكون ذليلًا؟ لأنه قُهر. بخلاف غالب الهوى فإنه يكون قوي القلب ، عزيزًا لأنه قَهر.

٢- المعصية الأولى كلقمة تناولها جائع، فما ردت كل الجوع، بل شهت الطعام.

فصل: شغل الحياة

١- النفس لو دامت لها اليقظة لوقعت فيما هو شر من فوت ما فاتها، وهو العجب بحالها، والاحتقار لجنسها. وربما ترقت بقوة علمها وعرفانها، إلى دعوى قولها: لي، وعندي، وأستحق فتركها في حومة[1] ذنوبها تتخبط.

٢- من بذر فصلح له فلابد له من هفوة تراقبها عين الخوف بها تصح عبوديته، وتسم له عبادته.

فصل: من أخطاء المتصوفة

١- اعلم- وفقك الله تعالى- أن البدن كالمطية، ولابد من علف المطية، والاهتمام به. فإذا أهملت ذلك كان سببًا لوقوفك عن السير.

٢- مثال الطبع مع المريد السالك، كمثل كلب لا يعرف الطارق، فكل من رآه يمشي، نبح عليه، فإن ألقى إليه كسرة سكت عنه.

فصل: الشهوات مصائد الهلاك

١- تأملت في شهوات الدنيا فرأيتها مصائد هلاك، وفخوخ تلف. فمن قوي عقله على طبعه وحكم عليه سلم، ومن غلب طبعه فيا سُرعة هلكته.

[1] يقال حومة البحر: أي معظمه، وحومة القتال: أشد موضع فيه، والمقصود منها: ذروة الذنوب وشدتها.

٢- الدنيا مفازة فينبغي أن يكون السابق فيها العقل، فمن سلم زمام راحلته إلى طبعه وهواه، فيا عجلة تلفه.

فصل: زهد زائف

١- لولا جواذب الباطن من الطبيعة ما بقي البدن، فإن الشهوة للطعام تثور، فإذا وقعت الغنية بها يتناول كفت الشهوة.

فصل: أنواع جهاد النفس

١- رُبَّ مُضيق على نفسه فرت منه فصعب عليه تلافيها.

٢- ليس في سياط التأديب أجود من سوط عزم.

فصل: أسرار تأخر إجابة الدعاء

١- لو لم يكن في تأخير الإجابة إلا أن يبلوك المقدر في محاربة العدو لكفى في الحكمة.

٢- ربما رأيت الشيء مصلحة والحكمة لا تقتضيه.

فصل: علاج البلايا

١- من نزلت به بلية، فأراد تمحيقها، فليتصورها أكثر مما هي تهن.

٢- لولا كرب الشدة ما رجيت ساعات الراحة.

٣- المؤمن في الشدة ينبغي أن يراعي السعات، ويتفقد فيها أحوال النفس. ويتلمح الجوارح، مخافة أن يبدو من اللسان كلمة، أو من القلب تسخط. فكأن قد لاح فجر الأجر، فانجاب ليل البلاء، ومدح الساري يقطع الدجى فما طلعت شمس الجزاء، إلا وقد وصل إلى منزل السلامة.

فصل: حظر العلم مع قلة العمل

١- احذر من الإخلاد إلى صورة العلم، مع ترك العمل به، فإنها حالة الكسالى الزمني.

فصل: بين العلم والزهادة

١- فالوقوف مع الأسباب مع نسيان المسبب غلط. وكل هذه الظلمات إنما تقطع بمصباح العلم.

٢- لقد ضل من مشى في ظلمة الجهل أو في زقاق الهوى.

فصل: ولقد كرمنا بني آدم

١- إن فضلت الملائكة بجوهرية ذواتهم فجوهرية أرواحنا من ذلك الجنس، وعلينا أثقال أعباء الجسم.

٢- بالله لولا احتياج الراكب إلى الناقة فهو يتوقف لطلب علفها، ويرفق في السير بها لطرق أرض مني... قبل الشعر [عشر ذي الحجة].

٣- أو يتعجب من الماء إذا جرى، أو من منحدر يسرع؟ إنما العجب من مصاعد يشق الطريق ويغالب العقبات.

٤- طمأنينة من لم يخطئ تقوي نفسه. وانزعاج الغائص في الزلل يرقى روحه إلى التراقي.

فصل: خواطر مزعجة

١- كذلك العقل، فإنه موجود بلا شك، كما أن الروح موجودة بلا شك، كلاهما يعرف بآثاره لا بحقيقة ذاته.

فصل: من فوائد الجهال

١- الزاهد كراع البهم، والعالم كمؤدب الصبيان، والعارف كملقن الحكمة.

ولولا نفاط[1] الملك وحارسه، ووقاد أتونه، ما تم عيشه.

٢- رؤية القاصر من تمام لذة الكامل.

[1] نفاط: هو من يضع النفط وهو الزيت ليوقد النار.

فصل: المقبلون على الله

١- البذر دفين تحت الأرض، كالموتى، قد عفن ينتظر نفخة من صور الحياة، إذا أصابته اهتز خضرًا.

فصل: دواء مُجرب

١- آه من سكير[1] لم يعلم قدر عربدته إلا في وقت الإفاقة؟ لقد فتقت ما يصعب رتقه، فوا أسفًا على بضاعة ضاعت، وعلى ملاح تعب في موج الشمال مُصاعدًا مدى، ثم غلبه النوم فرد إلى مكانه الأول.

٢- فمن لم يثق بدينه فليحذر من المصائد، فإنها خفية.

٣- أسلم ما للجبان العزلة، خصوصًا في زمان قد مات فيه المعروف، وعاش المنكر.

من فصل تأويل فاسد

١- فالحذر الحذر من فساد التأويل، فإن الله تعالى لا يُخادع، ولا يُنال ما عنده بمعصيته.

---

(١) لعله سكر من الدنيا، وعربدة فيها، فسكر بالشهوات.

فصل: خطر العزلة

١- البدن مطية، والمطية إذا لم يرفق بها لم تصل براكبها إلى المنزل، وليس مرادي بالرفق الإكثار من الشهوات، وإنما أعني أخذ البلغة الصالحة للبدن، فحينئذ يصفو الفكر، ويصح العقل، ويقوى الذهن.

٢- وهل الطبع إلا ككلب يشغله الآكل؟ فإذا رمى له ما يتشاغل به طاب له الأكل، فأما الانفراد والعزلة فعن الشر لا عن الخير.

٣- إن إصلاح البدن سبب لإصلاح الدين.

٤- إن البهيمة إذا أقبلت إلى نهر أو ساقية فضربت لتقفز لم تفعل حتى تزل نفسها. فإن علمت فيها قوة الطفر طفرت وإن علمت أنها لا تطيق لم تفعل ولو قتلت.

فصل: في السبب والمسبب

١- ولا تكن كمن بين زرعه وبين النهر كف من تراب، تكاسل أن يرفعه بيده، ثم قام يُصلي صلاة الاستسقاء.

فصل: من أخطار الرفاهية

١- لا خير في لذة تعب ألمًا.

فصل: بين الصبر والرضا

١- ليس في التكليف أصعب من الصبر على القضاء، ولا فيه أفضل من الرضا به. فأما الصبر: فهو فرض. وأما الرضا فهو فضل.

٢- لا ينبغي للمستعمل في الطين أن يلبس نظيف الثياب، بل ينبغي أن يصابر ساعات العمل، فإذا فرغ تنظف ولبس أجود ثيابه.

٣- لو أن عين الفهم زال عنها غشاء العشا، لرأيت المسبب لا الأسباب، والمقدر لا الاقدار، فصبرت على بلائه، إيثارًا لما يريد.

فصل: الرضا عن الله

١- أما العارف فتقل عنده المرارة، لقوة حلاوة المعرفة. فإذا ترقى بالمعرفة إلى المحبة، صارت مرارة الأقدار، حلاوة.

٢- ينبغي الاجتهاد في طلب المعرفة بالأدلة، ثم العمل بمقتضى المعرفة بالجد في الخدمة، لعل ذلك يورث المحبة.

فصل: نكتة لطيفة

١- النفس الأبية إذا رأت حال الدنيا كذلك، لم تساكنها بالقلب، ونبت عنها بالعزم، ورأت أقرب الأشياء شبها بها، مزبلة عليها الكلاب، أ غائطًا يؤتى لضرورة.

فصل: زهاد ... وجهال

١- رُب شخص يصلح على خشونة العيش، وآخر لا يصلح على ذلك، ولا يجوز لأحد أن يحمل غيره على ما يطيقه هو.

فصل: التصوف ونشر الجهل

١- العلم هو الأصل الأعظم، والنور الأكبر. وربما كان تقليب الأوراق أفضل من الصوم والصلاة، والحج والغزو.

٢- وكم من مُعرض عن العلم يخوض في عذاب من الهوى في تعبد، ويضيع كثيرًا من الفرض بالنفل، ويشتغل بما يزعمه الأفضل عن الواجب.

فصل: إشارة عجيبة

١- رأيت الصواب قطع طريق الصبر بالتسلية والتلطف للنفس.

٢- اعلم أن مداراة النفس والتلطف بها لازم، وبذلك ينقطع الطريق.

فصل: تلحين الوحي ... وتطريب الوعظ

١- وأحوج الناس إلى البلاغة الواعظ لجميع مطالبهم، لكنه يبغي أن ينظر في الازم الواجب، وأن يعطيهم من المباح في اللفظ قدر الملح في الطعام، ثم يجتذبهم إلى العزائم، ويعرفهم الطريق الحق.

فصل: من أسرار العشق

١- أرباب المعرفة ولهي قد شغلهم حبه عن حب غيره.

٢- على قدر النظر في العواقب يخف العشق عن قلب العاشق، وعلى قدر جمود الذهن يقوي القلق.

فصل: دعاء المنكسر

١- ربما كان الاعتراف بالتقصير أنجح في الحوائج.

فصل: تدبر عالٍ

١- أنزل القرآن يحتوي على عجائب الحكم، فمن فتشه بيد الفهم. وحادثه في خلوة الفكر، استجلب رضا المتكلم به وحظي بالزلفى لديه.

فصل: علو الهمم

١- العلم كثير، وكلما حصل منه حاصل رفع ونفع.

فصل: في السبب والمسبب

١- قلوب العارفين يغار عليها من الأسباب وإن كانت لا تساكنها لأنها لما انفردت لمعرفتها انفرد لها بتولي أمورها.

٢- والأسباب طريق، ولابد من سلوكها. والعارف لا يساكنها غير أنه يجلي له من أمرها ما لا يجلي لغيره من أنها لا تساكن.

٣- طوبى لمن عرف المسبب وتعلق به، فإنها الغاية القصوى.

فصل: الإيمان والذنوب

١- المؤمن لا يبالغ في الذنوب وإنما يقوى الهوى وتتوقد نيران الشهوة فينحدر. وله من إيمانه ما يبغض إليه الإثم فلا يعزم المؤمن على مواقعته، ولا على العود بعد فراغه، ولا يستقصي في الانتقام إن غضب، وينوي التوبة قبل الزلل.

٢- الإيمان على حسب قوته، فتارة يردها عند الهم، وتارة يضعف فيردها عند العزم، وتارة عن بعض الفعل، فإذا غلبت الغفلة، وواقع الذنب، فتر الطبع، فنهض الإيمان للعمل، فينغص بالندم أضعاف ما التذ.

فصل: المن بالعبادة

١- أقول لك خالط الفُساق احتقارًا لنفسك، بل أغضب عليهم في الباطن وأعرض عنهم في الظاهر، ثم تلمح جريان الأقدار عليهم، فأكثرهم لا يعرف من عصى، وجمهورهم لا يقصد العصيان، بل يريد موافقة هواه، وعزيز عليه أن يعصي.

فصل: خطر التشبيه

١- اعلم أن شرعنا مضبوط الأصول، محروس القواعد، لا خلل فيه ولا دخل، وكذلك كل الشرائع، إنما الآفة تدخل من المبتدعين في الدين أو الجهال.

٢- واحذر جمود النقلة، وانبساط المتكلمين، وجموع المتزهدين، وشره أهل الهوى، ووقوف العلماء على صورة العلم من غير عمل، وعمل المتعبدين بغير علم، ومن أيده الله تعالى بلطفه، رزقه الفهم وأخرجه عن ربقة التقليد، وجعله أمة وحده في زمانه، لا يبالي بمن عبث، ولا يلتفت إلى من لام، قد سلم زمامه إلى دليله في واضح السبيل.

فصل: الأيام دُول

١- السعيد من لازم أصلًا واحدًا على كل حال، وهو تقوى الله عز وجل فإنه إن استغنى زانته، وإن افتقر فُتحت له أبواب الصبر، وإن عوفي تمت النعمة عليه، وإن ابتلى حملته، ولا يضره إن نزل به الزمان أو صعد، أو أعراه أو أشبعه أو أجاعه، لأن جميع تلك الأشياء تزول وتتغير.

٢- التقوى أصل السلامة حارس لا ينام، يأخذ باليد عند العثرة.

٣- المنكر من غرته لذة حصلت مع عدم التقوى فإنها ستحول وتخليه خاسرًا.

٤- لازم التقوى في كل حال فإنك لا ترى في الضيق إلا السعة، وفي المرض إلا العافية.

فصل: جهاد الهوى

١- إن اللذات لتعرض على المؤمن، فمتى لقيها في صف حربه وقد تأخر عنه عسكر التدبر للعواقب هُزم.

٢- من تأمل ذل إخوة يوسف عليه السلام يوم قالوا: (وتصدق علينا) عرف شؤم الزلل.

٣- ليس من رقع وخاط كمن ثوبه صحيح، ورب عَظمٍ هيض[1] لم ينجبر، فإن جبر فعلى وهي[2].

٤- انتبهوا للغيم إذا تراكم بالصعود إلى تلعة[3]، فربما مد الوادي فراح بالركب.

(١) هيض: انكسر فصار مهيضًا

(٢) وهي: ضعف وانكسر

[3] تلعة: مفرد (تلاع) وهي كل ما ارتفع من الأرض.

فصل: حكمة الغريزة في البدن

١- لولا تركيب الهوى المائل بصاحبه إلى النكاح ما طلبه أحد، فمات النسل وآذى المحتقن، فأما العارفون فإنهم فهموا المقصود، وأما الجاهلون فإنهم مالوا مع الشهوة، والهوى، ولم يفهموا مقصود وضعها.

فصل: عواقب المعاصي والطاعات

١- من تأمل عواقب المعاصي رآها قبيحة.

فصل: ملازمة التقوى

١- ينبغي للعاقل أن يلازم باب مولاه على كل حال ،أن يتعلق بذيل فصله إن عصى وإن أطاع، وليكن له أُنس في خلوته به، فإن وقعت وحشة فليجتهد في رفع الموحش.

فصل: الثرثرة بالنعم

١- شر الحسود كاللازم، فإنه في حال البلاء يتشفى، وفي حال النعم يصيب بالعين.

٢- كتمان الأمور في كل حال فعل الحازم، فإنه إن كشف مقدار سنه استهرمُوه إن كان كبيرًا، واحتقروه إن كان صغيرًا وإن كشف ما يعتقد ناصبهُ الأضداد بالعداوة.

وإن كشف قدر ماله استحقروه إن كان قليلًا، وحسدوه إن كان كثيرًا.

٣- لا تكن من المذاييع الغر الذين لا يحملون أسرارهم حتى يفشوها إلى من لا يصلح.

٤- رب كلمة جرى بها اللسان هلك بها الإنسان.

فصل: الرضا بالمعصية

١- لا ينال لذة المعاصي إلا سكرانًا بالغفلة، فأما المؤمن فإنه لا يلتذ، لأنه عند التذاذه يقف بإزائه علم التحريم، وحذر العقوبة، فإن قويت معرفته رأى بعين علمه قرب الناهي، فيتنغص عيشه في حال التذاذة، فإن غلب سكر الهوى كان القلب متنقصًا بهذه المراقبات.

فصل: آثار سيئة العزلة

١- المقصود من النكاح أشياء منها طلب الولد، ومنها شفاء النفس بإخراج الفضلة المؤذية، وكمال خروجها لا يكون إلا بوجود المستحسن.

٢- للنفس حظ فهو يستوفيه استيفاء الناقة حظها من العلف في السفر، وذلك يعين على سيرها.

فصل: خواتيم الآثام

١- ليس بين الآدمي وبين الله تعالى قرابة ولا رحم، وإنما هو قائم بالقسط، حاكم بالعدل، وإن كان حلمه يسع الذنوب، إلا أنه إذا شاء عفا فعفا كل كثيف من الذنوب، وإذا شاء أخذ وأخذ باليسير، فالحذر الحذر.

فصل: غرور المتعبدين

١- أعجب العجب دعوى المعرفة مع البعد عن العرفان، بالله.

٢- كم من متكلم يقول: ما مثلي!!، لو عاش فسمع ما حدث بعده من الفصاحة عدَّ نفسه أخرسًا.

فصل: اليقين

١- من عاش مع الله عز وجل طيب النفس في زمن السلامة خفت عليه في زمن البلاء فهناك المحك.

٢- العاقل من أعد ذخرًا، وحصل زادًا، وازداد من العدد للقاء حرب البلاء، ولابد من لقاء البلاء، ولو لم يكن إلا عند صرعة الموت.

٣- وأي قلب يثبت عند إمساك النفس، والأخذ بالكظم، ونزع النفس والعلم بمفارقة المحبوبات.

فصل: سعادة العارفين

١- ليس في الدنيا ولا ي الآخرة أطيب عيشًا من العارفين بالله عز وجل، فإن العارف به مستأنس به في خلوته.

فصل: حلاوة الكفاح في سبيل الحق

١- بالله عليك يا مرفوع القدر بالتقوى، لا تبع عزها بذل المعاصي، وصابر عطش الهوى في هجير[1] المشتهى وإن أمض وأرمض، فإذا بلغت النهاية من الصبر فاحتكم وقل[2]، فهو مقام من لو أقسم على الله لأبره.

٢- بالله عليك تذوَّق حلاوة الكف عن المنهي، فإنها شجرة تُثمر عز الدنيا وشرف الآخرة.

(١) الهجير: وقت اشتداد الحر، وإنما قصد: اصبر على إلحاح نفسك على الشهوة.

(٢) قل: أي نم وقت القائلة، أو القيلولة، وهو نوم ما بعد الظهر.

٣- متى اشتد عطشك إلى ما تهوى، فابسط أنامل الرجاء إلى من عنده الري الكامل، وقل قد عيل صبر الطبع في سنينة العجاف، فعجل لي العام الذي فيه أغاث وأعصر.

٤- بالله عليك تفكَّر فيمن قطع أكثر العمر في التقوى والطاعة ثم عرضت فتنة في الوقت الآخر، كيف نطح مركبه الجرف[1] فغرق وقت الصعود.

٥- بالله عليك أتدري من الرجل؟ الرجل والله من إذا خلا بما يُحب من المُحرم وقدر عليه وتقلل عطشًا إليه، نظر إلى نظر الحق إليه فاستحى من إجابة همه فيما يكرهه، فذهب العطش.

فصل: أسرار الحكمة

١- احذر أن تخدع يا مسكين، فإنه ثبت بالدليل القاطع لما رأيت من إتقان الصنائع مبلغ حكمة الصانع؛ فإن خفي عليك بعض الحكم فلضعف إدراكك، ثم ما زالت للملوك أسرار فمن أنت حتى تطلع بضعفك على جميع حكمه؟

٢- حقيق بذي البصر الضعيف ألا يقاوي(٢) نور الشمس.

[1] الجرف: الهلاك.

(٢) يقاوي: ألا يسابق نور الشمس.

فصل: سياسة النفس

١- إنما الحازم من تعلم منه نفسه الجد وحفظ الأصول. فإذا فسح لها في مباح لم تتجاسر أن تتعداه، فيكون معها كالملك إذا مازح بعض جنده، فإنه لا ينبسط إليه الغلام. فإن انبسط ذكر هيبة المملكة، فكذلك المحقق يعطيها حظها، ويستوفي منها ما عليها.

فصل: إضاعة الوقت

١- رأيت النادرين قد فهموا معنى الوجود، فهم في تعبئة الزاد التأهب للرحيل، إلا أنهم يتفاوتون، وسبب تفاوتهم قلة العلم وكثرته بما ينفق في بلد الإقامة[1].

٢- الله الله في مواسم العمر، والبدار قبل الفوات، واستشهدوا العلم، واستدلوا الحكمة، ونافسوا الزمان، وناقشوا النفوس، واستظهروا بالزاد، فكأن قد حدا الحادي فلم يفهم صوته من وقع دمع الندم.

(١) هي الدار الآخرة لأنها دار الخلود إما في الجنة أو النار.

فصل: تخليط العلماء والزهاد

١- أضر ما على المريض التخليط، وما من أحد إلا وهو مريض بالهوى، والحمية هي رأس الدواء، والتخليط يديم المرض.

٢- الله الله فإن ناقد الجزاء بصير، والإخلاص في الباطن، والصدق في القلب، ونعم طريق السلامة ستر الحال.

فصل: علماء عاملون

١- الدليل بالفعل أرشد من الدليل بالقول.

٢- المسكين كل المسكين من شاع عمره في علم لم يعمل به، ففاتته لذات الدنيا وخيرات الآخرة فقدم مُفلسًا على قوة الحجة عليه.

فصل: وأملي لهم

١- إنه عز وجل يمهل حتى كأنه يهمل، فترى أيدي العصاة مطلقة كأنه لا مانع، فإذا زاد الانبساط، ولم ترعو العقل، أخذ أخذ جبار، وإنما كان ذلك الإمهال لِيبلُوَ صبر الصابر ولُيملي في الإمهال للظالم فيثبت هذا على صبره، ويجزي هذا بقبيح فعله.

فصل: سياسة النفس

١- الجبان الكسلان، الذي قد اقتنع بصلاح نفسه عن هداية غيره، وانفرد بعزلته عن اجتذاب الخلق إلى ربهم.

٢- الصواب العكوف على العلم مع تلذيع النفس بأسباب المرققات تلذيعًا لا يقدح في كمال التشاغل بالعلم، فإني لأكره لنفسي من جهة ضعف قلبي ورقته أن أكثر زيارة القبور، وأن أحضر المحتضرين؛ لأن ذلك يؤثر في فكري، ويخرجني من حيز المتشاغلين بالعلم إلى مقام الفكر في الموت، ولأنتفع بنفسي مدة، وفصل الخطاب في هذا أنه ينبغي أن يقاوم المرض بضده فمن كان قلبه قاسيًا شديد القسوة، وليس عنده من المراقبة ما يكفه عن الخطأ، قاوم ذلك بذكر الموت ومحاضرة المحتضرين.

فصل: ساعة الاحتضار

١- من أظرف الأشياء إفاقة المحتضر عند موته، فإنه ينتبه انتباهًا لا يوصف، ويقلق قلقًا لا يحد، ويتلهف على زمانه الماضي، ويود لو ترك كي يتدارك ما فاته، ويصدق في توبته على مقدار يقينه بالموت، ويكاد يقتل نفسه قبل موتها بالأسف.

فصل: أهل الإشارة

١- ربما أخذ المتيقظ بيت شعر، فأخذ منه إشارة فانتفع بها.

فصل: حاسبوا أنفسكم

١- استفت قلبك فلا خير في الدنيا كلها إذا كان في القلب من تحصيلها شيء أوجب نوع كدر.

٢- النوم على المزابل مع سلامة القلب من الكدر ألذ من تكآت الملوك[1].

٣- كم من عالم جمع كُتبًا كثيرة ما انتفع بها، وكم من مُنتفع ما عنده عشرة أجزاء، وكم من طيب العيش لا يملك دينارين، وكم من ذي قناطير منغص.

٤- ربما نزل المرض بصاحب الدار أو ببعض من فيها فأنفق في سنته أضعاف ما ترخص في كسبه، والمتقي معافى.

---

(١) تكآت: وهو ما يتكأ عليه.

فصل: العقوبة بالمرصاد

١- إنه ما يُهملُ شيء، فالحذر الحذر، فإن العقوبة بالمرصاد.

فصل: نقد التصوف

١- اجتهاد العاقل فيما يصلحه لازم له بمقتضى العقل والشرع.

فصل: تفكر في آلاء الله عز وجل

١- كيف يأنس بهذا الوجود من نظر بعين فكره المبدأ والمنتهى؟ وكيف يغفل أرباب القلوب عن ذكر هذا الإله العظيم؟

٢- لو صحت النفوس عن سكر هواها، لذابت من خوفه، أو لغابت في حبه.

فصل: الألم بمقدار

١- للبلايا نهايات معلومة الوقت عند الله عز وجل، فلا بد للمبتلي من الصبر إلى أن ينقضي أوان البلاء، فإن تقلقل قبل الوقت لم ينفع التقلقل.

٢- التلاقي بكثرة الدعاء نعم المعتمد، والاعتراض حرام، والاستعجال مزاحمة للتدبير، فافهم هذه الأشياء، فإنها تُهون البلاء.

فصل: عون على الصبر

١- ليس في الوجود شيء أصعب من الصبر، إما عن المحبوب أو على المكروهات، وخصوصًا إذا امتد الزمان أو وقع اليأس من الفرج، وتلك المدة تحتاج إلى زاد يقطع به سفرها.

فصل: اختيار الله أولى

١- إذا سلم العبد تحكيمًا لحكمته وحُكْمه وأيقن أن الكل ملكه طاب قلبه.

فصل: فضل العلم

١- من أراد أن يعرف رتبة العلماء على الزهاد، فلينظر في رتبة جبريل وميكائيل ومن خُصَّ من الملائكة بولاية تتعلق بالخلق، وباقي الملائكة قيام للتعبد في مراتب الرهبان في الصوامع، وقد حظي أولئك بالتقريب على مقادير علمهم بالله تعالى.

٢- الذي لا يعمل بالعلم لا يُطلعهُ العلم على غروره، ولا يكشف له عن سره.

فصل: نشدان الكمال

١- لو أمكنك عبور كل أحد من العلماء والزهاد فافعل، فإنهم كانوا رجالًا وأنت رجل. وما قعد من قعد إلا لدناءة الهمة وخساستها.

٢- اعلم أنك في ميدان سباق والأوقات تنتهب ولا تخلد إلى كسل، فما فات إلا بالكسل، ولا نال من نال إلا بالجد والعزم، وإن الهمة لتغلي في القلوب غليان ما في القدور لتغلي في القلوب غليان ما في القدور.

فصل: فضل الفقهاء

١- أعظم دليل على فضيلة الشيء النظر إلى ثمرته.

فصل: تضييع الأصول وغلبة الهوى

١- ما مثل الهو، إلا كسبع في عنقه سلسلة فإن استوثق منه ضابطه كفه، وربما لاحت له شهواته الغالبة عليه فلم تقاومها السلسلة فأفلت، على أن من الناس من يكف هواه بسلسلة، ومنهم من يكفه بخيط، فينبغي للعاقل أن يحذر شياطين الهوى، وأن يكون بصيرًا بما يقوى عليه من أعدائه، وبمن يُقوى عليه.

من فصل اللهم اكفني شر أصدقائي

١- من أعظم الغلط الثقة بالناس والاسترسال إلى الأصدقاء، فإن أشد الأعداء وأكثرهم أذى الصديق المنقلب عدوًّا، لأنه قد اطلع على خفيِّ السر.

فصل: سقطات أهل العلم

١- من لا علم له إلا بالعجال ضاق به معاشه أو قلَّ ما ينشده لنفسه من حظوظ، فسافر في البلاد يطلب من الأراذل، ويتواضع للسفلة، وأهل الدناءة والمكاس وغيرهم.

٢- أفما بقي عندك ذرة من الأنفة تنبو[1] بها عن مقامات الأراذل؟ لا معك يسير من العلم يسير بك عن مناخ الهوى؟ ولا حصلت بالعلم قوة تجذب بها زمام النفس عن مراعي السوء؟

٣- اعلم أن التفاتك إلى نوع كسب تستغني به عن الأرازل أفضل من التزيد في علمك.

[1] تنبو: ترتفع وتسمو.

فصل: نحو ترشيد الهمم

١- رأيت الشَّرِهَ في تحصيل الأشياء يُفوِّت الشَّرَهُ عليه مقصوده، وقد رأينا من كان شرها في جمع المال فحصل له الكثير منه وهو مع ذلك حريص على الازدياد، ولو فهم، علم أن المراد من المال إنفاقه في العمر، فإذا انفق العم في تحصيله فات المقصودان جميعًا.

٢- ذو الهمة لا يُخفى من زمان الصبا.

٣- إن الله عز وجل أقوامًا يتولى تربيتهم، ويبعث إليهم من زمن الطفولية مؤدبًا ويُسمى العقل. ومقومًا، ويقال له الفهم، ويتولى تأديبهم وتثقيفهم، ويهيئ لهم أسباب القرب منه، فإن لاح قاطع قطعهم عنه حماهم منه، وإن تعرض بهم فتنة دفعها عنهم.

فصل: راقبوا الله في خلواتكم

١- إن للخلوة تأثيرات تبين في الجلوة، كم من مؤمن بالله عز وجل يحترمه عند الخلوات فيترك ما يشتهي حذرًا من عقابه، أو رجاء لثوابه، أو إجلالًا له، فيكون بذلك الفعل كأنه طرح عودًا هنديًا على مجمر فيفوح طيبه فيستنشقه الخلائق ولا يدرون أين هو.

٢- على قدر المجاهدة في ترك ما يهوى تقوى محبته.

٣- من هاب الخلق، ولم يحترم خلوته بالحق، فإنه على قدر مبارزته بالذنوب، وعلى مقادير تلك الذنوب، يفوح منه ريح الكراهة فتمقته القلوب.

٤- رُب خال بذنب كان سبب وقوعه في هوة شقوة في عيش الدنيا والآخرة وكأنه قيل له: ابق بما آثرت فيبقى أبدًا في التخبيط.

من فصل الخضوع لله عز وجل

١- من عرف جريان الأقدار ثبت لها، وأجهل الناس بعد هذا من قاواها لأن مراد المقدِّر الذل له، فإذا قاويت القدر فنلت مرادك من ذلك لم يبق لك ذل.

٢- سبحان من ناط الأمور بالأسباب، ليحصل ذُلُّ العارف بالحاجة إلى التسبب.

فصل: محك الحوادث

١- من تلمح بحر الدنيا، وعلم كيف تُتلقي الأمواج، وكيف يصبر على مدافعة الأيام، لم يستهول نزول بلاء، ولم يفرح بعاجل رخاء.

فصل: رياضة النفس

١- ينبغي للعاقل ألا يقدم على العزائم حتى يزن نفسه هل يطيقها؟ ويجرب نفسه في ركوب بعضها سرًا من الخلق، فإنه لا يأمن أن يرى في حالة لا يصبر عليها، ثم يعود فيفتضح.

فصل: ولكنا إذا متنا بعثنا

١- أجهل الجهال من آثر عاجلًا على آجل لا يأمن سوء مغبته.

٢- هل عدَّ في العقلاء قط من قيل له: اجلس في المملكة سنة ثم نقتلك.

٣- العاقل من صابر مرارة الجهد سنة بل سنين ليستريح في عاقبته، وفي الجمل أف للذة أعقبت عقوبة.

فصل: بين المادة والمعنى

١- اللذات كلها بين حسيّ وعقليّ، فنهاية اللذات الحسية وأعلاها النكاح، وغاية اللذات العقلية العلم، فمن حصلت له الغاياتان في الدنيا فقد نال النهاية.

فصل: كيف تحفظ العلم

١- اعلم أن المتعلم يفتقر إلى دوام الدراسة. ومن الغلط الانهماك في الإعادة ليلًا ونهارًا، فإنه لا يلبث صاحب هذه الحال إلا أيامًا ثم يفتر أو يمرض.

٢- ومن الغلط تحميل القلب حفظ الكثير أو الحفظ من فنون شتى، فإن القلب جارحة من الجوارح، وكما أن من الناس من يحمل المائة رطل، ومنهم من يعجز عن عشرين رطلًا، فكذلك القلوب، فليأخذ الإنسان على قدر قوته ودونها.

٣- للحفظ أوقات من العمر فأفضلها الصبا وما يقاربه من أوقات الزمان، وأفضلها إعادة الأسحار وأنصاف النهار، والغدوات خير من العشيات، وأوقات الجوع خير من أوقات الشبع، ولا يحمد الحفظ بحضرة خضرة وعلى شاطئ نهر، لأن ذلك يُلهي، والأماكن العالية للحفظ خير من السوافل، وللخلوة أصل، وجمع الهم أصل الأصول.

فصل: بين الخطأ والتوبة

١- من الاغترار أن تُسيء فترى إحسانًا فتظن أنك قد سومحت، وتنسى.

٢- من أعظم العقوبة ألا يحس الإنسان بها، وأن تكون في سلب الدين وطمس القلوب وسوء الاختيار للنفس، فيكون من آثارها سلامة البدن وبلوغ الأغراض.

٣- العاقل من تلمح العواقب.

فصل: في نقد علم الكلام

١- لابد للشبهات أن ترفع رأسها في بعض الأوقات، وإن كانت مدموغة، وللباطل جولة، وللحق صولة، والدجالون كُثُر، ولا يخلو بلد ممن يضرب البهرج[1] على مثل سكة السلطان.

فصل: أصحاب الهمم العالية

١- أعظم البلايا أن يعطيك همة عالية ويمنعك من العمل بمقتضاها، فيكون من تأثير همتك الأنفة من قبول إرفاق الخلق استثقالًا لحمل مننهم، ثم يبتليك بالفقر فتأخذ منهم.

٢- إنما البلاء على العارف ذي الهمة العالية الذي تدعوه همته إلى جميع الأضداد للتزيد من مقام الكمال، وتقصر خطاه عن مدارك مقصوده.

فصل: الحزم أولى

١- إن في المعبر شغلًا يحذر غرق من كثرة الموج عن التنزه في عجائب البحر.

(١) البهرج: العملة الزائفة.

٢- اعلمي أيتها النفس أنه ما يمضي شيء جزافًا إن ميزان العدل تبين فيه الذرة، فتلمحي الأموات والأحياء، وانظري إلى من نشر ذكره بالخير والشر، وزيادة ذلك ونقصانه.

٣- سبحان من أظهر دليل الخلوات على أربابها، حتى أن حبات القلوب تتعلق بأهل الخير، وتنفر من أهل الشر من غير مطالعة لشيء من أعمال الكل.

٤- لا يصح للأجير أن يلبس ثياب الراحة في زمان الاستئجار، وكل زمان المتقي نهار صوم، ومن خاف العقاب ترك المشتهى، ومن رام القرب استعمل الورع، وللصبر حلاوة تبين في العواقب.

فصل: حريق الهوى

١- الله الله في حريق الهوى إذا ثار، وانظر كيف تطفئه، فرُب زلة أوقعت في بئر بوار، وربَّ أثر لم ينقلع، والفائت لا يستدرك على الحقيقة، فابعد عن أسباب الفتنة، فإن المقاربة محنة لا يكاد صاحبها يسلم، والسلام.

فصل: جهاد الشيطان

١- الخلق كلهم في صف محاربة، والشياطين يرمونهم بنبل الهوى، ويضربونهم بأسياف اللذة، فأما المخلطون فصرعى من أول وقت اللقاء، وأما المتقون ففي جهد جهيد من المجاهدة.

فصل: الحذر .... الحذر

١- الدنيا فخ، والجاهل بأول نظرة يقع، فأما العاقل المتقي فهو يصابر المجاعة ويدور حول الحب، والسلامة بعيدة، فكم من صابر اجتهد سنين.

فصل: مهالك الذنوب

١- للذنوب تأثيرات قبيحة، مرارتها تزيد على حلاوتها أضعافًا مضاعفة، والمجازي بالمرصاد، لا يسبقه شيء ولا يفوته.

٢- وا أسفًا لمضروب بالسياط ما يحس بالألم، ولمثخنٍ بالجراح وما عنده من نفسه خبر، ولمتقلب في عقوبات ما يدري بها، ولعمري أن أعظم العقوبة ألا يدري بالعقوبة.

٣- وا عجبًا للمغالط نفسه، يُرضي نفسه بشهوة ثم يرضي ربه بطاعة، ويقول: حسنة، وسيئة. ويحك من كيسك تنفق، ومن بضاعتك تهدم، ووجه جاهك تشين، ربَّ جراحة قتلت، ورب عثرة أهلكت، ورب فارط لا يستدرك.

٤- آخر جرعه اللذة شرقة، وإما أن تفارق محبوبك أو يفارقك، فيا لها جرعة مريرة، تود عندها أن لو لم تره.

فصل: من أسرار الدعاء

١- من العجب إلحاحك في طلب أغراضك وكلما زاد تعويقها زاد إلحاحك، وتنسى أنها قد تمتنع لأحد أمرين، أما لمصلحتك فربما مُعجل أذى، وإما لذنوبك فإن صاحب الذنوب بعيد من الإجابة.

٢- متى نظفت طرق الإجابة من أدران الذنوب، وصبرت على ما يقضيه لك، فكل ما يجري أصلح لك، عطاء كان أو منعًا.

فصل: بع دنياك بآخرتك

١- ما مقدار عمر غايته مائة سنة منها خمسة عشر صبوة وجهل، وثلاثون بعد السبعين – إن حصلت- ضعف وعجز. والتوسط نصفه نوم، وبعضه زمان

أكل وشرب وكسب، والمنتحل منه للعبادات يسير. أفلا يشتري ذلك الدائم بهذا القليل؟

من فصل الاستعداد ليوم الرحيل والمعاد

١- من الاغترار طول الأمل، وما من آفة أعظم منه، فإنه لولا طول الأمل ما وقع إهمال أصلًا.

٢- إن لم تستطع قصر الأمل، فاعمل عمل قصير الأمل، ولا تمس حتى تنظر فيما مضى من يومك، فإن رأيت زلة فامحُها بتوبة، أو خرقًا فارقعه باستغفار، وإذا أصبحت فتأمل ما مضى في ليلك. وإياك والتسويف فإنه أكبر جنود إبليس.

٣- صور لنفسك قصر العمر، وكثرة الأشغال وقوة الندم على التفريط عند الموت، وطول الحسرة على البدار بعد الفوات. وصور ثواب الكاملين وأنت ناقص، والمجتهدين وأنت متكاسل، ولا تخل نفسك من موعظة تسمعها، وفكرة تحادثها بها.

٤- إن النفس كالفرس المتشيطن إن أهملت لجامه لم تأمن أن يرمي بك.

٥- البدار البدار في الصيانة، قبل تلف الباقي بالصبابة. فكم تعرقل في فخ الهوى جناح حازم، وكم وقع في بئر بوار مخمور.

فصل: إحسان المتاب

١- كم من معصية لا يزال صاحبها في هبوط أبدا من تعثير أقدامه، وشدة فقره وحسراته على ما يفوته من الدنيا، وحسرة لمن نالها.

٢- أه من عقاب يتأخر حتى ينسى سببه.

٣- الله الله في تجويد التوبة عساها تكف كف الجزاء، والحذر الحذر من الذنوب خصوصًا ذنوب الخلوات، فإن المبارزة لله تعالى تسقط العبد من عينه، وأصلح ما بينك وبينه في السر وقد أصلح لك أحوال العلانية، ولا تغتر بستره أيها العاصي فربما يجذب عن عورتك، ولا بحلمه فربما بغت العقاب، وعليك بالقلق واللجأ إليه والتضرع. فإن نفع شيء فذلك، وتقوت بالحزن، وتمزز كأس الدمع، واحفر لمعول الأسى قليب قلب الهوى، لعلك تنبط من الماء ما يغسل جرم جرمك.

فصل: العدل لا يحابي

١- العدل لا يُحابي، وحاكم الجزاء لا يجور، وما يضيع عند الأمين شيء.

فصل: الزم محراب الإنابة.

١- للبلايا أوقات ثم تنصرم، ورب عقوبة امتدت إلى زمان الموت.

فصل: نار تحت الرماد

١- الواجب على العاقل أن يحذر مغبة المعاصي، فإن نارها تحت الرماد، وربما تأخرت العقوبة ثم فجأت، وربما جاءت مستعجلة، فليبادر بإطفاء ما أوقد من نيران الذنوب، ولا ماء يطفئ تلك النار إلا ما كان من عين العين.

فصل: عبودية حقة

١- يا أرباب المعاملة، بالله عليكم لا تكدروا المشرب، قفوا على باب المراقبة وقوف الحراس، وادفعوا ما لا يصلح أن يلج فيفسد، واهجروا أغراضكم لتحصيل محبوب الحبيب، فإن أغراضكم تحصل.

٢- إن ضعفت عن حمل بلائه فاستغث به، وإن آلمك كرب اختياره فإنك بين يديه، ولا تيأس من روحه وإن قَوِيَ خناق البلاء، بالله إن موت الخادم في الخدمة حَسَنٌ عند العقلاء.

٣- قربت سفينة العمر من ساحل القبر، وما لك في المركب بضاعة تربح. تلاعبت في بحر العمر ريح الضعف، ففرقت تلفيق القوى، وكأن قد فصلت المركب، بلغت نهاية الأجل وعين هواك تلتفت إلى الصبا.

٤- بالله عليك لا تُشَمِّتي بك الأعداء، هذا أقل الأقسام، وأوفى منها، أن أقول: بالله عليك لا يفوتنك قدم سابق مع قدرتك على قطع المضمار.

٥- الخلوة، الخلوة، واستحضري قرين العقل، وجولي في حيرة الفكر، واستدركي صبابة الأجل، قبل أن تميل بك الصبابة عن الصواب، فوا عجبًا كلما صعد العمر نزلت، وكلما جّدَّ الموت هزلتِ. أتراك ممن ختم له بفتنه، وقضيت عليه آخر عمره المحنة، كان أول عمرك خيرًا من الأخير، كنت في زمن الشباب أصلح منك في زمن أيام المشيب.

فصل: ذهاب العجلة

١- لينظر السالك أين يضع القدم، فرب مُستعجل وقع في بئر بوار، ولتكن عين التيقظ مفتوحة، فإنكم في صف حرب لا يدرى فيه من أين يتلقى النبل، فأعينوا أنفسكم ولا تعينوا عليها.

فصل: حلاوة الطاعة

١- قلوب الجهال تستشعر البعد، ولذلك تقع منهم المعاصي، إذ لو تحققت مراقبتهم للحاضر الناظر لكفوا الأكفَّ عن الخطايا، والمتيقظون علموا قربه فحضرتهم المراقبة، وكفتهم عن الانبساط، ولولا نوع تغطية على عين المراقبة الحقيقية لما انبسطت كف بأكل، ولا قدرت عين على نظر.

٢- متى تحققت المراقبة حصل الأنس وإنما يقع الأنس بتحقيق الطاعة، لأن المخالفة توجب الوحشة، والموافقة مبسطة المستأنسين. فيا لذة عيش المستأنسين، ويا خسار المستوحشين.

٣- إنما المحقق من أمسك ذؤابة [1] ميزان المحاسبة للنفس، فأدى ما عليه، واجتنب ما نُهِيَ عنه.

فصل: تجميل مستحب

١- ينبغي للعاقل أن يكون له وقت معلوم يأمر زوجته بالتصنع له فيه، ثم يغمض عن التفتيش ليطيب له عيشه. وينبغي لها أن تتفقد من نفسها هذا، فلا تحضره إلا على أحسن حال، وبمثل هذا يدوم العيش.

فصل: لا تحم حول الحمى

١- أجود الأشياء قطع أسباب الفتن وترك الترخص فيما يجوز إذا كان حاملًا ومؤديا إلى ما لا يجوز.

[1] ذؤابة: من كل شيء أعلاه.

فصل: سكرة الهوى حجاب

١- لولا غيبة العاصي في وقت المعاصي كان كالمعاند، غير أن الهوى يحول بينه وبين الفهم للحال، فلا يرى إلا قضاء شهوته.

فصل: مراتب البلاء

١- البلايا على مقادير الرجال.

٢- الدنيا والآخرة ضرتان.

٣- اعلم أن فتح باب المباحات ربما جرّ أذى كثيرًا في الدين، فأوثق السكر[١] قبل فتح الماء، وألبس الدرع قبل لقاء الحرب، وتلمح عواقب ما تجني قبل تحريك اليد، واستظهر في الحذر باجتناب ما يخاف منه وإن لم يتيقن.

فصل: أنفس العلوم

١- فليحذر الراكب من إهمال الناقة، ولا يجوز له أن يحمل عليها ما لا تطيق ومع العدل والإنصاف يتأتى كل مراد، ومن انحرف عن الجادة طالت طريقه.

(١) السكْر: هو سد لشق ومتفجر الماء.

فصل: صلاح السر أصل القبول

١- من أصلح سريرته فاح عبير فضله، وعبقت القلوب بنشر طيبه، فالله الله في السرائر، فإنه ما ينفع مع فسادها صلاح ظاهر.

فصل: من أسرار الدعاء

١- آه من سكر غفلة صار أقوى من كل سكر في وجه مياه المراد يمنعها من الصول إلى زرع الأماني، فعرفت النفس أن هذا حق فاطمأنت.

فصل: بين العقل والنقل

١- من فهم المقصود وعمل على الدليل كان كالباني على أساس وثيق.

فصل: من حكم المدبر سبحانه

١- العجب من تلميذ يتعالم على أستاذه، ومن مملوك يتيه على سيده.

٢- إن تابع الدليل لا يُبالي ما جنى، وإنما يبين الاختبار بفقد الغرض.

فصل: بين آدم ويوسف عليهما السلام

١- يا له عزًّا وفخرًا، أن تملك نفسك ساعة الصبر عن المحبوب وهو قريب.

٢- العاقل من ميز بين الأمرين: الحلوين، والمرين. فإن من عدل ميزانه ولم تمل به كفة الهوى رأى كل الأرباح في الصبر. وكل الخسران في موافقة النفس.

فصل: بين الفقه والرقائق

١- لا يصلح العمل مع قلة العلم. فهما في ضرب المثل كسائق وقائد، والنفس بينهما حرون، ومع جد السائق والقائد ينقطع المنزل، ونعوذ بالله من الفتور.

فصل: الولع بالخصام

١- لا ينبغي لأحد أن يظاهر بالعداوة أحدًا ما استطاع، فإنه ربما يحتاج إليه مهما كانت منزلته، وإن الإنسان ربما لا يظن الحاجة إلى مثله يومًا ما كما يحتاج إلى عويد منبوذ لا يلتفت إليه. لكن كم من محتقر احتيج إليه.

٢- المظاهر بالعداوة كشاهر السف ينتظر مضربًا، وقد يلوح منه مضرب خفي، وإن اجتهد المتدرع في ستر نفسه فيغتنمه ذلك العدو.

فصل: لذات مشوبة

١- عليك بالقناعة مهما أمكن، ففيها سلامة الدنيا والدين. وقد قيل لبعض الزهاد وعنده خبز يابس: كيف تشتهي هذا؟ فقال: أتركه حتى أشتهيه.

فصل: سؤال العافية

١- لا يزال العاقل يسأل العافية ليتغلب على جمهور أحواله فيقرب الصبر على يسير البلاء.

٢- ينبغي للإنسان أن يعلم أنه لا سبيل إلى محبوباته خالصة ففي كل جرعة غصص، وفي كل لقمة شجا.

٣- العاقل من دارى نفسه في الصبر بوعد الأجر، وتسهيل الأمر، ليذهب زمان البلاء سالمًا من شكوى، ثم يستغيث بالله تعالى سائلًا العافية.

فصل: الاقتداء بالسنة أولى

١- الجادة السليمة، والطريق القويمة، الاقتداء بصاحب الشرع. والبدار إلى الاستنان به، فهو الكامل الذي لا نقص فيه.

٢- إن مثل العالم كرجل يعرف الطريق، والعابد جاهل بها، فيمشي العابد من الفجر إلى العصر، ويقوم العالم قبيل العصر فيلتقيان وقد سبق العالم فضل شوطه.

٣- لا ينبغي أن يخلد العاقل إلى تقليد معظَّم شاع اسمه.

فصل: خواطر في العزلة

١- الخلق يهون عليهم من يخالطهم، ولا يعظم عنندهم قول المخالط لهم، ولهذا عظم قدر الخلفاء لاحتجابهم.

٢- ليكن لك مكان في بيتك تخلو فيه، وتحادث سطور كتبك، وتجري في حلبات فكرك، واحترس من لقاء الخلق وخصوصًا العوام، واجتهد في كسب يعفك عن الطمع، فهذه نهاية لذة العالم في الدنيا.

فصل: ابن الجوزي يكتب عن حياته

١- من أنفق عصر الشباب في العلم فإنه في زمن الشيخوخة يحمد جنى ما غرس، ويلتذ بتصنيف ما جمع، ولا يرى ما يفقد من لذات البدن شيئًا بالإضافة إلى ما يناله من لذات العلم. هذا مع وجود لذاته في الطلب الذي كان يتأمل به إدراك المطلوب.

٢- تقطيع الأيدي لا وقع له عند رؤية يوسف. وما طالت طريق أدت إلى صديق.

فصل: اللذة بين الواقع والخيال

١- ومتى قدر الإنسان على ما يشتهيه مله ومال إلى غيره.

٢- إنما يتخايل الفارغ من العشق التذاذ العاشق وليس كذلك.

فصل: التلطف بالنفس

١- رأيت إذكار النفس بما لا بد لها في الطريق منه، وهو أنه لا بد لها من التلطف، فإن قاطع مرحلتين في مرحلة خليق بأن يقف فينبغي أن يقطع الطريق بألطف ممكن.

٢- أخذُ الراحة للجد جد، وغوص السابح في طلب الدر صعود.

٣- ينبغي للعاقل أن يغالط نفسه فيما يكشف العقل عن عواره.

فصل: قوام الآدمي

١- متى كان الصبي ذا ألفة- حَيِيًّا- رُجِيَ خيره. وليحمل على صحبة الأشراف والعلماء، وليحذر من مصاحبته الجهال والسفهاء؛ فإن الطبع لص.

فصل: عاقبة التفريط

١- بادري- يا نفس- موسم الزرع ما دامت الروح في البدن. فالزمان كل تشيرين قبل أن يدخل نيسان الحصاد، ومالك زرع، وحاجة المفتقرين إلى أموالهم تمنعهم من الإيثار

فصل: هاجس مقلق

١- ليس إلا القلق والخوف لعل سفينة الرجاء تسلم- يوم دخولها الشاطئ- من جرف.

فصل: فساد التصوف

١- اعلم أن ترك النظر إلى الخلق ومحو الجاه من قلوبهم بالعمل وإخلاص القصد وستر الحال، هو الذي رفع من رفع.

٢- ما تتمكن الرياسات حتى تتمكن من القلب الغفلة، ورؤية الخلق، ونسيان الحق، فحينئذ تطلب الرياسة على أهل الدنيا.

٣- صارت أحوال الخلق، نواميس لإقامة الجاه. لا جرم- والله- سقطتم من عين الحق، فأسقطتكم من عين الخَلق، فكم من يتعب في تربية ناموس، ولا يلتفت إليه ولا يحظى بمراده، ويفوته المراد الأكبر.

فصل: وفي أنفسكم أفلا تبصرون

١- من أكبر الدليل على وجود الخالق سبحانه هذه النفس الناطقة المميزة المحركة للبدن على مقتضى ارادتها التي دبرت مصالحها.

فصل: جانب اللّه أحق أن يراعى

١- العاقل من يحفظ جانب الله عز وجل، وإن غضب الخلق، وكل من يحفظ جانب المخلوقين، ويضيع حق الخالق، يقلّب الله قلب الذي قصد أن يرضيه فيسخطه عليه.

٢- ينبغي أن يحسن القصد لطاعة الخالق، وإن سخط المخلوق، فإنه يعود صاغرًا. ولا يسخط الخالق، فإنه يسخط المخلوق، فيفوت الحظان جميعًا.

فصل: الأصول والصور

١- بعيد ممن لا أصل له أن يكون فيه معنى مستحسن.

٢- إن المرأة الحسناء إذا كانت من بيت رديء فقل أن تكون صينة، وكذلك أيضًا المخالط والصديق والمباضع والمعاشر، فإياك أي تخالط إلا من له أصل يخاف عليه الدنس، فالغالب معه السلامة وإن وقع غير ذلك كان نادرًا.

٣- متى صحت البنية ولم يكن فيها عيب فالغالب صحة الباطن وحسن الخلق، ومتى كان فيها عيب فالعيب في الباطن أيضًا. فاحذر من عاهة كالأقرع والأعمى وغير ذلك، فإن بواطنهم في الغالب رديَّةٌ.

٤- لابد من التجربة قبل المخالطة واستعمالٍ الحذر لازم وإن كان كما ينبغي.

فصل: خبرات حياتية

١- ينبغي أن يكون شغل العاقل النظر في العواقب والتحرز مما يمكن أن يكون. ومن الغلط النظر في الحالة الحاضرة الموافقة لمعاشه ولصحة بدنه، وربما لا يجري له مصحوبة فينبغي أن يعمل على انقطاع ذلك، فيكون مستعدًا لتغير الأحوال.

٢- من أراد غلبة الذكي دقق النظر وتلطف في الاحتيال.

٣- فمتى وقع الإنسان مع ذكي فينبغي أن يتحرر منه، كما ينظر صاحب الرقعة النقلات[1].

٤- إذا أذيت شخصًا فقد غرست في قلبه عداوة، فلا تأمن تفريغ تلك الشجرة، ولا تلتفت إلى ما يظهر من ودٍّ وإن حلف، فإن قاربته فكن منه على حذر.

٥- من الخور إظهار العداوة للعدو... ومن أحسن التدبير التلطف بالأعداء إلى أن يمكن كسر شوكتهم... ولو لم يمكن ذاك كان اللطف سببًا في كف أكفهم عن الأذى، وفيهم من يستحي لحسن فعلك فيتغير قلبه لك.

٦- كفى بالذهن الناظر إلى العواقب والتأمل لكل ممكن مؤدبًا.

---

(١) الرقعة: هي مائدة الشطرنج. والنقلات: نقل قطع الشطرنج.

فصل: آبار الأسرار

١- أكثر الناس لا يتمالكون من إفشاء سرهم، فإذا ظهر عاتبوا من أخبروا به، فوا عجبًا كيف ضاقوا بحبسه ذرعًا ثم لاموا من أفشاه.

٢- كل حديث جاوز الاثنين شائع.

٣- الرجل الحازم الذي لا يتعداه سره ولا يفشيه إلى أحد.

٤- تر المصائب من جملة كتمان السر، لأن إظهارها يسر الشامت ويؤلم المحب.

٥- ربَّ مفش سره إلى زوجة أو صديق فيصبر بذلك رهينًا عنده ولا يتجاسر أن يُطَلِّقَ الزوجة، ولا أن يهجر الصديق، مخافة أن يظهر سره القبيح. فالحازم من عامل الناس بالظاهر.

٦- من أعظم الأسرار الخلوات، فليحذر الحازم فيها من الانبساط بمرأى من مخلوق. ومن خلق له عقل ثاقب دله على الصواب قبل الوصايا.

فصل: العزلة النافعة

١- يا للعزلة ما ألذها، سلمت من كدر غيبة، وآفات تصنع، وأحوال المداجاة وتضييع الوقت. ثم خلا فيها القلب بالفكر.

٢- أما العالم فعلمه مؤنسه، وكتبه محدِّثه، والنظر في سير السلف مقوِّمه، والتفكر في حوادث الزمان السابق فرجته، فإن ترقي بعلمه إلى مقام المعرفة الكاملة للخالق سبحانه، وتشبث بأذيال محبته، تضاعفت لذاته، واشتغل بها عن الأكوان وما فيها. فخلا بحبيبه، وعمل معه بمقتضى علمه.

٣- الزاهد، تعبده أنيسه، ومعبوده جليسه، فإن كشف لبصره عن المعمول معه غاب عن الخلق، وغابوا عنه، إنما اعتزلا ما يؤذي.

فصل: استعدوا قد دنا المسير

١- أشد الناس بلهًا وتغفيلًا من قد عبر الستين وقارب السبعين – فإن من بينهما هو معترك المنايا. ومن نازل المعترك استعد- وهو مع ذلك غافل عن الإستعداد.

٢- هل بقي لابن ستين منزل؟ فإن طمع في السبعين فإنما يرتقي إليها بعناء شديد، إن قام دفع الأرض، وإن مشي لهث ، وإن قعد تنفس. ويرى شهوات الدنيا ولا يقدر على تناولها. فإن أكل كد المعدة، وصعب الهضم، وإن وطئ أذى المرأة، ووضع دنفًا لا يقدر على رد ما ذهب من القوة إلى مدة طويلة. فهو يعيش عيش الأسير. فإن طمع في الثمانين فهو يزحف إليها زحف الصغير.

فصل: خيبة أهل الكلام

١- الإنسان يريد أن ينظر ما لا يقوى عليه بصره، فربما تحير فخرج إلى الحَجْبِ، لأنا إذا نظرنا في ذات الخالق حار العقل وبهت الحس، فهو لا يعرف شيئًا لا بداية له. إنه لا يعلم إلا الجسم والجوهر والعرض[1]، فإثبات ما يخرج عن ذاك لا يفهمه.

وإن نظرنا في أفعاله رأيناه يحكم البناء ثم ينقضه ولا نطلع على تلك الحكمة، فالأولى للعاقل أن يكف التطلع إلى ما لا يطيق النظر إليه. ومتى قام العقل فنظر في دليل وجود الخالق بمصنوعاته، وأجاز بعثة نبي واستدل بمعجزاته، كفاه ذلك أن يتعرض لما قد أغنى عنه.

فصل: سعادة حقيقية

١- لقد غفل طلاب الدنيا عن اللذة فيها، واللذة فيها شرف العلم وزهرة العفة وأنفة الحمية، وعز القناعة، وحلاوة الإفضال على الخلق، فأما الالتذاذ بالمطعم

(١) الجوهر: هو أصل الأشياء، فهو الثابت من كل شيء، القائم بذاته مثل الروح، والجمع جواهر، أما العرض فهو: ضد الجوهر، فهي كل ما يطرأ ويزول، ولا يستطيع أن يقوم إلا بغيره، مثل الجسم فإنه عرض.

والمنكح فشغل جاهل باللذة، لأن ذاك لا يراد لنفسه، بل لإقامة العوض في البدن والولد.

٢- من مال إلى النساء لم يصف له عيش. من أحب الشراب لم يمتع بعقله. ومن أحب الدينار والدرهم كان عبدًا لهما ما عاش.

فصل: قياس الغائب على الشاهد

١- أصل كل محنة في العقائد قياس أمر الخالق على أحوال الخلق.

٢- أما الخالق سبحانه فإن العقل لا ينتهي إلى حكمته. بلى قد ثبت عنده وجوده وملكه وحكمته، فتعرضه بالتفاصيل على ما تجري به عادات الخلق، جهل.

فصل: ثمن العلياء

١- تأملت عجبًا، وهو أن كل شيء نفيس خطير يطول طريقه ويكثر التعب في تحصيله.

٢- الزهد يحتاج إلى صبر عن الهوى.

٣- العفاف لا يكون إلا بكف كف الشره. ولولا ما عانى يوسف عليه السلام ما قيل له: (أيها الصديق) (يوسف: ٤٦).

٤- تأملت نيل الدر من البحر، فرأيته بعد معاناة الشدائد.

٥- الموفق من تلمح قصر الموسم المعمول فيه، وامتداد زمان الجزاء الذي لا آخر له، فانتبه حتى اللحظة، وزاحم كل فضيلة، فإنها إذا فاتت فلا وجه لاستدراكها.

فصل: اليقين عند الابتلاء

١- ليس المؤمن بالذي يؤدي فرائض العبادات صورة، ويتجنب المحظورات فحسب. إنما المؤمن هو الكامل الإيمان، لا يختلج في قلبه اعتراض، ولا يساكن نفسه فيما يجري وسوسة. وكلما اشتد البلاء عليه زاد إيمانه وقوي تسليمه. وقد يدعو فلا يرى للإجابة أثرًا، وسره لا يتغير لأنه يعلم أنه مملوك وله مالك يتصرف بمقتضى إرادته. فإن اختلج فيقلبه اعتراض خرج من مقام العبودية إلى مقام المناظرة، كما جرى لإبليس. والإيمان القوي يُبين أثره عند قوة البلاء.

فصل: علم أفسد العامة

١- ويح المتكلم لو كان له فهم علم أن الله سبحانه وتعالى نصب أعلامًا تأنس بها النفوس وتطمئن إليها كالكعبة وسماها بيته، والعرش وذكر استواءه عليه، وذكر من صفاته اليد والسمع والبصر والعين، وينزل إلى السماء الدنيا ، ويضحك، وكل هذا لتأنس بالعادات. وقد جلّ عما تضمنته هذه الصفات من الجوارح.

٢- من لم يقنع بعقيدة مثل عقيدة الصحابة، ولا بطريق مثل طريق أحمد والشافعي في ترك الخوض فلا كان من كان.

فصل: النفس بعد الموت

١- الجسد ليس هو الآدمي، وإنما هو مركبه، فالأرواح لا ينالها البلى، والأبدان ليست بشيء.

٢- إذا قلعت ضرسك ورميته في حفرة، فهل عندك خبر مما يلقى في مدة حياتك؟ فحكم الأبدان حكم ذلك الضرس، لا تدري النفس ما يلقى، ولا ينبغي أن تغتم بتمزيق جسد المحبوب وبلاه، واذكر تنعم الأرواح، وقرب التجديد، وعاجل اللقاء، فإن الفكر في تحقيق هذا يهون الحزن، ويسهل الأمر.

فصل: كتم المذاهب

١- ينبغي للعاقل ألا يتكلم في الخلوة عن أحد بشيء حتى يمثل ذلك الشيء ظاهرًا معلنًا به ثم ينظر فيما يجني. فَرُبَّ رجل وثق بصديق فتكلم أمامه عن سلطان بأمر فبلغه فأهله، أو عن صديق فبلغه فوقعت الواقعة.

فصل: المغفلون!!

١- لو لم يكن في الابتلاء بما تنكره الطباع إلا أن يقصد إذعان العقل وتسليمه لكفى.

٢- تأملت حالة عجيبة، يجوز أن يكون المقصود بالموت هي، وذلك أن الخالق سبحانه في غيب لا يدركه الإحساس، فلو أنه لم ينقض هذه البنية لتخايل للإنسان أنه صنع لا بصانع، فإذا وقع الموت عرفت النفس نفسها التي كانت لا تعرفها لكونها في الجسد، وتدرك عجائب الأمور بعد رحيلها، فإذا رُدت إلى البدن عرفت ضرورة أنها مخلوقة لمن أعادها، وتذكرت حالها في الدنيا فإن الأفكار تعاد كما تعاد الأبدان- فيقول قائلهم: (إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين) (الطور: ٢٦).

فصل: عند الصباح يحمد السرُى

١- تذهب حلاوة اللذات المحرمة ويبقى الوزر. ويمضي زمان التسخط بالأقدار، ويبقى العتاب.

٢- السعيد من وفق لاغتنام العافية، ثم يختار تحصيل الأفضل في زمن الاغتنام، وليعلم أن زيادة المنازل في الجنة على قدر التزيد من الفضائل ها هنا، والعمر قصير، والفضائل كثيرة، فليبالغ في البدار. فيا طول راحة التعب، ويا فرحة

المغموم، ويا سرور المحزون، ومتى تخايل دوام اللذة في الجنة من غير مغص ولا قاطع، هان عليه كل بلاء وشدة.

فصل: صلاح الدنيا والدين

١- لابد من التلطف بالبدن بتناول ما يصلحه، وبالقلب بما يدفع الحزن المؤذي له. وإلا فمتى دام المؤذي عجل التف.

٢- إنما تذم قوة الغفلة الموجبة للتفريط والإهمال للمحاسبة للنفس، وتضييع الزمان في غير التزود، وربما قويت فحملت على المعاصي، فأما إذا كانت بقدر كانت كالملح في الطعام لابد منه، فإن كثر صار الطعام زعاقًا، فالغفلة تمدح إذا كانت بقدر كما بينا، ومتى زادت وقع الذم.

فصل: زهد كاذب

١- ما يكاد يحب الاجتماع بالناس إلا فارغ. لأن المشغول القلب بالحق يفر من الخلق ومتى تمكن فراغ القلب من معرفة الحق امتلأ بالخلق فصار يعمل لهم ومن أجلهم، ويهلك بالرياء ولا يعلم.

٢- من رأى نفسه تكبر، والمتكبر أحمق لأنه ما من شيء يتكبر به إلا ولغيره أكثر منه، ومن رائى الخلق عبدهم وهو لا يعلم.

فصل: كل المعاصي قبيحة

١- كل المعاصي قبيحة، وبعضها أقبح من بعض.

٢- الإقدام على ما لا يدعو إليه الطبع إلى أن يصل التناول إلى اللذة معاندة.

فصل: من آفات العلماء

١- العجب كل العجب ممن يرى نفسه، أتراه بماذا رآها؟، إن كان بالعلم، فقد سبقه العلماء، وإن كان بالتعبد، فقد سبقه العبَّاد، أو بالمال فإن المال لا يوجب بنفسه فضيلة دينية.

٢- من تلمح خصال نفسه وذنوبها علم أنه على يقين من الذنوب والتقصير.

فصل: محالمة الغاضب

١- متى رأيت صاحبك قد غضب وأخذ يتكلم بما لا يصلح، فلا ينبغي أن تعقد على ما يقوله خنصرًا، ولا أن تؤاخذه به، فإن حاله حال السكران، لا يدري ما يجري، بل اصبر لفورته، ولا تعول عليها، فإن الشيطان قد غلبه، والطبع قد هاج، والعقل قد استتر.

فصل: خبرات حياتية

١- ليس في الدنيا أكثر بلاهة ممن يُسيء إلى شخص ويعلم أنه قد بلغ إلى قلبه بالأذى ثم يصطلحان في الظاهر، فيعلم أن ذلك الأثر محي بالصلح.

٢- إنك متى آذيت شخصًا وبلغ إلى قلبه أذاك فلا تثق بمودته، فإن أذاك نصب عينه، فإن لم يحتل عليك لم يصف لك.

٣- لا ينبغي أن تعادي أحدًا ولا تتكلم في حقه، فربما صارت له دولة فاشتفى، وربما احتيج إليه فلم يقدر عليه.

٤- العاقل يصور في نفسه كل ممكن، ويستر ما في قلبه من البغض والود، ويداري مع الغيظ والحقد، هذه مشاورة العقل إن قبلت.

فصل: الاغترار والتسويف

١- كل من يتلمح العواقب ولا يستعد لما يجوز وقوعه فليس بكامل العقل.

٢- العاقل من أخذ بالحزم في تصوير ما يجوز وقوعه وعمل بمقتضى ذلك، فإن امتد الأجل لم يضره، وإن وقع المخوف كان محترزًا.

٣- العاقل من نظر فيما يجوز وقوعه ولم يعاد أحدًا، فإن كان بينهما ما يوجب المعاداة كتم ذلك، فإن صح له أن يثب على عدوه فينتقم منه انتقامًا يبيحه الشرع جاز، على أن العفو أصلح في باب العيش.

فصل: ملوك الآخرة

١- من أشرف وأطيب عيشًا من منفرد في زاوية لا يخالط السلاطين ولا يُبالي أطاب مطعمه أم لم يُطب.

٢- إنَّ من أكل على شبع، ووطئ من غير صدق شهوة وقلق، لم يجد اللذة التامة التي يجدها الفقير إذا جاع، والعزب إذا وجد امرأة.

فصل: الكمال عزيز

١- صورة البدن تُسمى خَلقًا، وصورة الباطن تُسمى خُلقًا. ودليل كمال صورة البدن حسن السمت واستعمال الأدب، ودليل صورة الباطن حسن الطبائع والأخلاق.

فصل: في لا اعتراض على الأقدار

١- ليس في الدنيا أشد بلهًا من يريد معاملة الحق سبحانه على بلوغ الأغراض، فأين تكون البلوى إذن.

٢- من يريد أن تدوم له السلامة والنصر على من يعاديه، والعافية من غير بلاء، فما عرف التكليف، ولا فهم التسليم.

٣- لابد من جيد ورديء، والجيد يوجب الشكر، والرديء يحرك إلى السؤال والدعاء، فإن امتنع الجواب، أريد نفوذ البلاء، والتسليم للقضاء، وها هنا بين ما الإيمان، ويظهر في التسليم جواهر الرجال.

فصل: للابتلاء أحكام

١- ليس في الابتلاء بقوة الأشياء إلا التسليم واللجأ إلى القدر في الفرج، فيرى الرجل المؤمن الحازم يثبت لهذه العظائم، ولا يتغير قلبه، ولا ينطق بالشكوى لسانه.

في فصل: الشرف في معرفة الله تعالى

١- ينبغي لمن عرف شرف الوجود أن يحصل أفضل الموجود، هذا العمر موسم. والتجارات تختلف. والعامة تقول: عليكم بما خف حمله وكثر ثمنه. فينبغي للمستيقظ ألا يطلب إلا الأنفس. وأنفس الأشياء في الدنيا معرفة الحق عز وجل.

٢- من العارفين السالكين من وافي في طريقة بغيته في السفر ومنهم من همته متعلقة بطلب ربحه، ومنهم من ينظر إلى ما يرضي الحبيب فيجلبه إلى بلد المعاملة، ويرضى بالقبول ثمنًا، ويرى أن كل البضائع لا تفي بحق الخفارة.

في فصل: استعدوا للرحيل

١- ينبغي لمن قاربه ساحل الأجل بعلو سنه أن يُبادر اللحظات، وينتظر الهاجم بما يصلح له، فقد كان في قوس الأجل منزع زمان الشباب، واسترخى الوتر في المشيب عن سية القوس، فانحدر إلى القلب وضعفت القوى أن يوتر، وما بقي إلا الاستسلام لمحارب التلف.

٢- أي عيش في الدنيا يطيب لمن أيامه السليمة تقربه إلى الهلاك، وصعود عمره نزول عن الحياة، وطول بقائه نقص مدى المدة، فليتفكر فيما بين يديه.

في فصل: في النبي ﷺ أسوة حسنة

١ – من أراد أن يعلم حقيقة الرضا عن الله عز وجل ففي أفعاله، وأن يدري من أين ينشأ الرضا، فليتفكر في أحوال رسول الله ﷺ.

في فصل: خداع الشهوات

١ – ذو الأنفة يأنف من الوسخ صورة، وعيب الخلق معنى، فليقنع بما باطنه الدين، وظاهره الستر والقناعة، فإنه يعيش مرفه السر، طيب القلب ومتى ما استكثر، فإنما يستكثر من شغل قلبه ورقة دينه.

في فصل: أصناف الناس

١- سبحان من شغل كل شخص بفن لتنام العيون في الدنيا.

في فصل: شهوة بهيمية

١- من له نفس لا يقف في مقام تهمة لئلا يظن به.

٢- الذي يريد أن يتبع النفس هواها لا يلتذ به أنه لا يخاف عنتًا ولا لومًا، ولا يكون له عرض يحتذر عليه، فهو بهيمة من مسلاخ إنسان.

٣- لو تفكر الزاني في الأحدوثة عنه، أو تصور أخذ الحد منه، لكف الكف. غير أنه يرى لذة حاضرة كأنها لمع برق، ويا شؤم ما أعقبت من طول الأسى.

في فصل: عواقب الخطايا

١- قد تبغت العقوبات، وقد يؤخرها الحلم. والعاقل من إذا فعل خطيئة بادرها بالتوبة، فكم مغرور بإمهال العصاة لم يمهل.

٢- أسرع المعاصي عقوبة ما خلا عن لذة تنسي النهي، فتكون تلك الخطيئة كالمعاندة والمبارزة، فإن كانت توجب اعتراضًا على الخالق أو منازعة له في عظمته، فتلك التي لا تتلافى، خصوصًا إن وقعت من عارف بالله، فإنه يندر إهماله.

٣- الحذر الحذر من عواقب الخطايا، والبدار البدار إلى محوها بالإنابة. فلها تأثيرات قبيحة إن أسرعت، وإلا اجتمعت وجاءت.

فصل: احفظ همتك

١- أسعد الناس من له قوت دار بقدر الكفاية، لا من منن الناس وصدقاتهم وقد قنع به.

٢- ترك التشوف إلى الفضول أصل الأصول.

٣- العقلاء يظهرون التجلد عند المصائب والفقر والبلاء، لئلا يتحملوا مع النوائب شماتة الأعداء، وإنها لأشد من كل نائبة.

فصل: الدنيا معبر لدار الإقامة

١- إنما خلقنا لنحيا مع الخالق في معرفته ومحادثته ورؤيته في البقاء الدائم وإنما ابتدئ كوننا في الدنيا لأنها في مثال مكتب نتعلم فيه الخط والأدب ليصلح الصبي عند بلوغه للرتب.

٢- المؤمن الكامل يسبق الأقران يوم التجاري، ويعرض لوح عمله جيد الخط، فيقول بلسان حاله: (هاؤم اقرءوا كتابيه) (الحاقة: ١٩).

٣- البدار البدار يا أرباب الفهوم، فإن الدينا معبر إلى دار إقامة وسفر إلى المستقر والقرب من السلطان ومجاورته، فتهيئوا للمجالسه، واستعدوا للمخاطبة، وبالغوا في استعمال الأدب، لتصلحوا للقرب من الحضرة.

٤- ليتذكر الساعي حلاوة التسليم إلى الأمين، وليتذكر في لذاذة المدح يوم السباق. وليحذر المسابق من تقصير لا يمكن استدراكه وليخف من عيب يبقى قبح ذكره.

٥- الجد الجد، بإقدام المبادرة، فقد لاح العلم خصوصًا لمن بانت له بَانَةُ الوادي، إما بالعمل الدال على الطريق، وإما بالشيب الذي هو علم الرحيل، وهو ما يأمله أهل الجد.

فصل: مراتب العابدين

١- الأبله الذي يرى له من الحق أن يجاب، فإن لم يجب تذمّر في باطنه، كأنه يطلب أجرة عمله، وكأنه قد نفع الخالق بعبادته.

٢- إنما العبد حقًا من يرضى ما يفعله الخالق، فإن سأل فأجيب، رأى ذلك فضلًا، وإن منع رأى تصرف مالك، فلم يجعل في قلبه اعتراض بحال.

فصل: والآخرة خير وأبقى

١- سبب تنغيص العيش فوات الحظوظ العاجلة. وليس في الدنيا طيب عيش على الدوام إلا للعارف الذي شغله رضا حبيبه والتزود للرحيل إليه. فإنه إن وجد راحة في الدنيا استعان بها على طلب الآخرة، وإن وجد شدة اغتنم الصبر عليها لثواب الآخرة، فهو راض بكل ما يجري عليه. يرى ذلك من قضاء الخالق، ويعلم أنه مراده.

٢- أفيحسن لمن باع شاة أن يغضب على المشتري إذا ذبحها أو يتغير قلبه؟ والله لو قال المالك سبحانه: إنما خلقتكم ليستدل على جودي، ثم أنا أفنيكم ولا إعادة، لكان يجب على النفوس العارفة به أن تقول سمعًا لما قلت وطاعة. وأي شيء لنا فينا حتى نتكلم، فكيف وقد وعد بالأجر الجزيل، والخلود في النعيم، الذي لا ينفد.

٣- طريق الوصول تحتاج إلى صبر على المشقة وما يبقى لتعب رمل زرود أثر إذا لاح الحرم. فالصبر الصبر يا أقدام المبتدئين، لاح المنزل، والسرور السرور يا متوسطين، ضُربت الخيم، والفرح الكامل يا عارفين، قد تلقيتم بالبشائر، زالت والله أثقال المعاملات عنكم، فكانت معرفتكم بالمبتلي حلاوة أعقبت شربة المجاهدة، فلم يبق في الفم للمر أثر.

فصل: خبرات حياتية

١- من التغفل أن تعاقب شخصًا أو تسيء إليه إساءة عظيمة وتعلم أن مثل ذلك يجدد الحقد، فتراه ذليلًا لك طائعًا تائبًا مُقلعًا عما فعل، فتعود فتستطيبه وتنسى ما فعلت وتظن أنه قد أنمحى من قلبه. فربما عمل لك المحن ونصب لك المكايد.

٢- إياك أن تساكن من آذيته، بل إن كان ولابد فمن خارج فما تؤمن الأحقاد.

٣- من الخور إظهار العداوة للعدو. ومن أحسن التدبير التلطف بلا عداء إلى أن يمكن ولو لم يمكن كان اللطف سببًا في كف أكفهم عن الأذى وفيهم من يستحي لحسن فعلك فيتغير قلبه لك.

٤- كفى بالذهن الناظر إلى العواقب والتأمل لكل ممكن مؤدبًا.

فصل: حكم خفية

١- إن الإنسان قد يريد المستحسنات الفائقات فلا يقدر وعجزه أصلح له، لأنه لو قدر عليهن تشتت قلبه، إما بحفظهن، أو بالكسب عليهن.

٢- الذي يطلب الفائق، يطلب سكينًا للذبحه وما يعلم.

٣- العاقل من علم أن الدنيا لم تخلق للتنعيم، فقنع بدفع الوقت على كل حال.

فصل: سخافات عقلية

١- إن التوفيق أصل الفعل، ولكن التوفيق أمر خفي. والخطاب بالفعل أمر جلي، فلا ينبغي أن يتشاغل عن الجلي بذكر الخفي.

٢- إن الله سبحانه لم يكلفك شيئًا إلا وعندك أدوات ذلك الفعل، ولك قدرة عليه.

٣- إياك إياك أن تتعلق بأمر لا حجة لك فيه. ثم من نصيبك ينقص، ومن حظك يضيع، فإنما تحرك لك، وإنما تحرض لنفعك، فبادر فإنك مبادر بك. ومما يزيل كسلك- إن تأملته- أن تتخايل ثواب المجتهدين وقد فاتك. ويكفي ذلك في توبيخ المقصر إن كانت له النفس.

٤- أما الميت الهمة، فما لجرح بميت إيلام. كيف بك إذا قمت من قبرك وقد قربت نجائب النجاة لأقوام وتعثرت، وأسرعت أقدام الصالحين على الصراط وتخبطت؟ هيهات، ذهبت حلاوة البطالة، وبقيت مرارة الأسف، ونضب ماء كأس الكسل، وبقي رسوب الندامة!

٥- ما قدر البقاء في الدنيا بالإضافة إلى دوام الآخرة؟ ثم ما قدر عمرك في الدنيا ونصفه نوم، وباقيه غفلة؟ فيا خاطبًا حور الجنة وهو لا يملك فلسًا من عزيمة، افتح عين الفكر في ضوء العبر، لعلك تبصر مواقع خطابك، فإن رأيت تثبيطًا من الباطن فاستغث بعون اللطف، وتنبه في الأسحار لعلك تتلمح ركب

الأرياح، وتعلق على قطر المستغفرين ولو خطوات، وانزل في رباع المجتهدين ولو منزلًا أي منزل.

فصل: أين شرع الله؟

١ – قد يعرف الإنسان الصواب، غير أن طبعه يميل عنه.

فصل: لذات زائفة

١ – تفكرت فعلمت أن النفس لا تقف عند حد بل تروم من اللذات ما لا منتهى له، وكلما حصل لها غرض برد عندها وطلبت سواه، فيفنى العمر، ويضعف البدن، ويقع النقص، ويرق الجاه، ولا يحصل المراد.

٢– ليس في الدنيا أبله ممن يطلب النهاية في لذات الدنيا، وليس في الدنيا، على الحقيقة لذة، إنما هي راحة من مؤلم.

٣– المسكين من دخل في أمر لم يتلمح عواقبه قبل الدخول، ورأى حبة الفخ فبادر طالبًا لها ناسيًا تعرقل الجناح والذبح.

فصل: حماقات سببها الأمل الطويل

١- أعجب الأشياء اغترار الإنسان بالسلامة، وتأميله الإصلاح فيما بعد وليس لهذا الأمل منتهى، ولا للاغترار حد. فكلما أصبح وأمسى مُعافى، زاد الاغترار وطال الأمل، ورأي موعظة أبلغ من أن ترى الأقران وأحوال الإخوان وقبور المحبوبين، فتعلم أنك بعد أيام مثلهم، ثم لا يقع انتباه حتى ينتبه الغير بك، هذا والله شأن الحمقى. حاشا من له عقل أن يسلك المسلك.

٢- إن العاقل ليبادر السلامة، فيدخر من زمنها للزمن، ويتزود عند القدرة على الزاد لوقت العسرة، خصوصًا لمن قد علم أن مراتب الآخرة إنما تعلو بمقدار علو العمل لها، وأن التدارك بعد الفوات لا يمكن.

٣- من أجال على خاطرة ذكر الجنة التي لا موت فيها ولا مرض ولا نوم ولا غم، بل لذاتها متصلة من غير انقطاع، وزيادها على قدر زيادة الجد ها هنا، انتهب هذا الزمان فلم ينم إلا ضرورة، ولم يغفل عن عمارة لحظة.

٤- من رأى ذنبًا قد مضت لذته وبقيت آفاته دائمة، كفاه ذلك زاجرًا عن مثله.

فصل: لا تفكروا في ذات الله

١- تأملت سبب تخليط العقائد، فإذا هو الميل إلى الحس وقياس الغائبات على الحاضر، فإن أقوامًا غلب عليهم الحس، فلما لم يشاهدوا الصانع جحدوا

وجوده ونسوا أنه قد ظهر بأفعاله، وأن هذه الأفعال لابد لها من فاعل. فإن العاقل إذا مر على صحراء خالية ثم عاد وفيها غرس وبناء علم أنه لابد من غارس، إذ الغرس لا يكون بنفسه ولا البناء.

٢- سبحانه أوجد الخلق لا لنفع يعود إليه، ولا لدفع ضر، إذ المنافع لا تصل إليه، والمضار لا تتطرق عليه.

٣- إياك إياك أن تقيس شيئًا من أفعاله على أفعال الخلق، وأو شيئًا من صفاته أو ذاته سبحانه وتعالى. فإنك إن حفظت هذا سلمت من التشبيه الذي وقع فيه من رأي الاستواء اعمادًا، والنزول نقله، ونجوت من الاعتراض الذي أخرج قومًا إيل الكفر حتى طعنوا في الحكمة.

فصل: بين التسليم والرضا

١ - أكثر السؤال إنما يقع في طلب أغراض الدنيا التي إذا ردت كان أصلح، فليكن همّ العاقل في إقامة حق الحق والرضا بتدبيره وإن أساء. فمتى أقبلتَ عليه أقبل على إصلاح شأنك.

٢- إذا عرفت أنه كريم فلذ به ولا تسأل. ومتى أقبلت على طاعاته فمحال أن يجود صانع وينصح في العمل ثم لا يعطى الأجرة.

فصل: الآخرة حق

١- فوا عجبًا من مضيع لحظة فيها. فتسبيحة تغرس له في الجنة نخلة أكلها دائم وظلها، فيا أيها الخائف من فوت ذلك شجع قلبك بالرجاء.

٢- يا أيها المنزعج لذكر الموت تلمح ما بعد مرارة الشربة من العافية، فإن من ساعة خروج الروح، لا بل قبل خروجها تنكشف المنازل لأصحابها فيهون سير المجذوب للذة المتنقل إليه.

٣- مخالطة الذين ليس عندهم خبر إلا من العاجلة فهو من أكبر أسباب مرض الفهم وعلل العقل. والعزلة عن الشر حمية، والحمية سبب العافية.

فصل: تراب الدنيا، وتبر الآخرة

١- من رزق معرفة الله تعالى استراح لأنه يستغني بالرضا بالقضاء، فمهما قدر له رضي، وإن دعا فلم ير أثر الإجابة لم يختلج في قلبه اعتراض، لأنه مملوك مدبر فتكون همته في خدمة الخالق.

فصل: ما العيش إلا في الجنة

١- بالله ما العيش إلا في الجنة حيث يقع اليقين بالرضا، والمعاشرة لمن لا يخون ولا يؤذي فأما الدنيا فما هي دار ذاك.

فصل: خبرات حياتية

١- رب كلمة نقلها صديق إلى صديق فتحدث بها من لا يقصد أذى للقائل فبلغت فتأذى. ورب مظهر للمحبة مبالغ حتى يستمكن من مراده.

الحذر الحذر من الطمأنينة إلى الحد، خصوصًا من عدو آذيته أو قتلت له قريبًا.

فربما أظهر الجميل شبكة لاصطيادك كحديث الزباء.

فصل: النظر في العواقب

١- أبله الناس من عمل على الحال الحاضرة، ولم يتصور تغيرها ولا وقوع ما يجوز وقوعه، مثاله أن يغتر بدولة فيعمل بمقتضى ملكه فإذا تغيرت هلك.

٢- العاقل لا يدخل في شيء حتى يهيء الخروج منه، فإن الأشياء لا تثبت، والمحبة لا تدوم، والتغير مقرون بكل حال.

٣- العاقل من كانت عينه مراقبة للعواقب، محترزة مما يجوز وقوعه، عاملة بالاحتياط في كل حال، حافظة للمال والسر، غير واثقة بزوجة ولا ولد ولا صديق متأهبة للرحيل، متهيئة للنقلة، هذه صفة أهل الحزم.

فصل: فتنة الصديق

١- العجب لمن يترخص في المخالطة، وهو يعلم أن الطبع لص يسرق من المخالطة، وإنما ينبغي أن تقع المخالطة للأرفع والأعلى في العلم والعمل ليستفاد منه، فأما مخالطة الدون فإنها تؤذي، إلا أن يكون عاميًّا يقبل من معلمه، فينبغي أن يخالط بالاحتراز.

٢- في هذا الزمان إن وقعت المخالطة للعوام عكرت الفؤاد فهم ظلمة مستحكمة فإذا ابتلي العالم بمخالطتهم فليشمر ثياب الحذر، ولتكن مجالسته إياهم للتذكرة والتأديب فحسب.

فصل: المداراة والحلم

١- من البله أن تبادر عدوًا أو حسودًا بالمخاصمة. وإنما ينبغي إن عرفت حاله أن تظهر له ما يوجب السلامة بينكما. إن اعتذر قبلت، وإن أخذ في الخصومة صفحت، وأريته أن الأمر قريب، ثم تبطن الحذر منه، فلا تثق به في حال، وتتجافاه باطنًا مع إظهار المخالطة في الظاهر، فإذا أردت أن تؤذيه فأول ما تؤذيه به إصلاحك لنفسك واجتهادك في علاج ما يعرفك به، من أعظم العقوبة له العفو عنه لله، وإن بالغ في السب فبالغ في الصفح تَنُبْ عنك العوام في شتمه، ويحمدك العلماء على حلمك، وما تؤذيه به من ذلك، وتورثه به

الكمد ظاهرًا وغيره في الباطن أضعاف وخير مما تؤذيه به من كلمة إذا قلتها له سمعت أضعافها.

فصل: من أسرار الدعاء

١- الزلل يوجب العقوبة فإذا زال الزلل بالتوبة من الذنوب ارتفع السبب.

٢- إياك أن تسأل شيئًا إلا وتقرنه بسؤال الخير، فرب مطلوب من الدنيا كان حصوله سببًا للهلاك.

فصل: الحزم في كتمان العاطفة

١- إذا أعجبتك صورة امرأة فتأمل خلالها الباطنة مُدَيْدَةً قبل أن يتعلق القلب بها تعلقًا محكمًا.

٢- ينبغي أن تكتم بعض حبك للولد، لأنه يتسلط عليك، ويضيع مالك، ويبالغ في الإدلال، ويمتنع عن التعلُّم والتأدب، وكذلك إذا اصطفيت صديقًا وخبرته، فلا تخبره بكل ما عندك، بل تعاهده بالإحسان كما تتعاهد الشجرة، فإنها إذا كانت جيدة الأصل حسن ثمرتها بالتعاهد، ثم كن منه على حذر فقد تتغير الأحوال.

٣- إذا أبغضت شخصًا لأنه يسوؤك فلا تظهرن ذلك، فإنك تنبهه على أخذ الحذر منك، وتدعوه إلى المبارزة، فيبالغ في حربك والاحتيال عليك، بل ينبغي أن تظهر له الجميل إن قدرت، وتبره ما استطعت حتى تنكر معاداته بالحياء من بغضك. فإن لم تطق فهجر جميل، لا تبين فيه ما يؤذي.

٤- الحزم كتمان الحب والبغض، وكذا ينبغي أن تكتم سنك فإن كنت كبيرًا استهرموك، وإن كنت صغيرًا استحقروك، وكذلك مقدار مالك، فإنه إن كان كثيرا نسبوك في نفقتك إلى البخل وإن كان قليلًا طلبوا الراحة منك. وكذلك المذهب، فإنك إن أظهرته لم تأمن أن يسمعه مخالف فيقطع بكفرك.

من فصل الحر لا يشترى إلا بالإحسان

١- العجب من الذي أنف الذل كيف لا يصبر على جُلف[1] الخبز، ولا يتعرض لمنن الأنذال.

٢- إن الحر لا يشترى إلا بالإحسان.

فصل: وصية الشباب

١- متى أنفق الحاصل وقت القدرة، تأذى بالفقر إليه وقت الفاقة.

[1] جلف: جمع (جَلْفة) وهي القطعة من كل شيء.

فصل: صفه القصاص، وبدع المتكلمين

١- من تعرض لساحل البحر وهو لا يحسن السباحة، فالظاهر غرقه.

فصل: تتبع اللذات

١- بالله، إن المباحات تشغل عن تحصيل الفضائل، فذم ذلك لبيان الحزم، فكيف المحرمات التي هي غاية الرذائل؟ نسأل الله عز وجل يقظة تحركنا إلى منافعنا. وتزعجنا عن خوادعنا، إنه قريب.

فصل: طغيان الهوى

١- العجب ممن يجوز سلب روحه قبل مُضي ساعة، ولا يعمل على الحزم، غير أن الهوى يطيل الأمد، وقد قال صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم: «صلِّ صلاة مُودِّع» وهذا نهاية الدواء لهذا الداء.

فصل: ذل النفس للخالق

١- لا ينبغي لأحد أن يلبس ثوبًا مُعجبًا ولا شيئًا من زينة، لأن تلك يوجب النظر إلى النفس بعين الإعجاب، والنفس ينبغي أن تكون ذليلة للخالق.

فصل: أقبل على ربك

١- من أراد اجتماع همه وإصلاح قلبه، فليحذر من مخالطة الناس في هذا الزمان، فإنه قد كان يقع الاجتماع على ما ينفع ذكره، فصار الاجتماع على ما يضر، وقد جربت على نفسي مرارًا أن أحصرها في بيت العزلة، فتجتمع هي، ويضاف إلى ذلك النظر في سير السلف.

٢- أرى العزلة حمية، والنظر في سير القوم دواء، واستعمال الدواء مع الحمية عن التخليط نافع، فإذا فسحت لنفسي في مجالسة الناس ولقائهم تشتت القلب المجتمع، ووقع الذهول عما كنت أراعيه، وانتقش في القلب ما قد رأته العين، وفي الضمير ما سمعه الأذن، وفي النفس ما تطمع في تحصيله من الدنيا وإذا جمهور المخالطين أرباب غفلة، والطبع بمجالستهم يسرق من طباعهم.

٣- إن دوام العزلة كالبناء، والنظر في سير السلف يرفعه، فإذا وقعت المخالطة انتقض ما بُنِيَ في مدة، في لحظة، وصعب التلاقي، وضعف القلب، ومن له فهم يعرف أمراض القلب، وإعراضه عن صاحبه، وخروج طائره من قفصه، ولا يؤمن على هذا المريض أن يكون مرضه هذا سبب التلف، ولا على هذا الطائر المحصور أن يقع في الشبكة.

٤- الجد الجد فإنما هي أيام وما نرى من يلقى، ولا من يؤخذ منه، ولا من تنفع مجالسته، إلا أن يكون نادرًا ما أعرفه.

٥- الزم خلوتك، وراع- ما بقيت النفس- وإذا قلقت النفس مشتاقة إلى لقاء الخلق فاعلم أنها بعدُ كدرة، فرضها ليصير لقاؤهم عندها مكروهًا، ولو كان عندها شغل بالخالق لما أحبت الزحمة، كما أن الذي يخلو بحبيبه لا يؤثر حضور غيره، ولو أنها عشقت طريق اليمن، لم تلتفت إلى الشام.

فصل: نور البصيرة

١- من الصفوة أقوام مذ تيقظوا ما ناموا، ومذ سلكوا ما وقفوا. فهمهم صعود وترَقٍّ، كلما عبروا مقامًا إلى مقام، رأو نقص ما كانوا فيه فاستغفروا.

٢- اعلم أن الطريق الموصلة إلى الحق سبحانه ليت مما يقطع بالأقدام، وإنما يقطع بالقلوب.

٣- الشهوات العاجلة قطاع الطريق، والسبيل كالليل المدلهم، غير أن عير الموفَّق بصر فرس، لأنه يرى في الظلمة، كما يرى في الضوء، والصدق في الطلب منار أين وجد يدل على الجادة، وإنما يتعثر من لم يخلص وإنما يمتنع الإخلاص ممن لا يراد، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

فصل: لا قيمة للبدن

١- إنما الروح عليها العمل، فإنَّ تجوهرت بالأدب، وتقوَّمَتْ بالعلم، وعرفت الصانع، وقامت بحقه، فما يضرها نقض المركب، وإن هي بقيت على صفتها من الجهالة شابهت الطين، بل صارت إلى أخس حالة منه.

فصل: فضول العيش أشغال

١- والله لا يجتمع الهمّ والعين تنظر إلى الناس، والسمع يسمع حديثهم، واللسان يخاطبهم، والقلب متوزع في تحصيل ما لا بُدَّ منه.

٢- إن رزقت امرأة صالحة جمعت همك فذاك، وإن لم تقدر فمعالجة الصبر أصلح لك من المخاطرة، إياك والمستحسنات، فإن صاحبهن إذا سلم كعابد صنم.

٣- إذا حصل بيدك شيء فأنفق بعضه، فيحفظ الباقي تحفظ شتات قلبك.

٤- احذر كل الحذر من هذا الزمان وأهله فما بقي مواس ولا مؤثر، ولا من يهتم لسّد خلة، ولا من لو سئل أعطى، إلا أن يعطي نذرًا بتضجر، ومنَّةً يسعبد بها المعطي بقية العمر، ويستثقله كلما رآه، أو يستدعي بها خدمته له والتردد إليه.

٥- البعد البعد عن من همته الدنيا، إن زادهم اليوم إلى أن يحصل أقرب منه إلى أن يؤثر، ولا تكاد ترى إلا عدوًا في الباطن، صديقًا في الظاهر، شامتًا على الضر،

حسودًا على النعمة، فاشتر العزلة بما بيعت، فإن من له قلب إذا مشى في الأسواق وعاد إلى منزله تغير قلبه. فكيف إن عرقله بالميل إلى أسباب الدنيا.

٦- اجتهد في جمع الهم بالبعد عن الخلق ليخلو القلب بالتفكر في المآب، وتتلمح عين البصيرة خيم الرحيل؟

فصل: طبائع الدهماء

١- كيف يفلح من يؤثر ما يراه بعينه على ما يبصره بعقله، وما يدركه ببصره أعز عنده مما يراه ببصيرته، تالله لو فتحوا أسماعهم لسمعوا هاتف الرحيل في زمان الإقامة يصيح في عرصات الدنيا: تلمحوا تقويض خيام الأوائل. لكن غمرهم سكر الجهالة، فلم يفيقوا إلا بضرب الحد.

فصل: الإخلاص لربك

١- متى نظر العامل إلى التفات القلوب إليه فقد زاحم الشرك لأنه ينبغي أن يقنع بنظر من يعمل له.

٢- ليعلم الإنسان أن أعماله كلها يعلمها الخلق جملة. وإن لم يطلعوا عليها، فالقلوب تشهد للصالح بالصلاح، وإن لم يشاهد منه ذلك. فأما من يقصد

رؤية الخلق بعمله فقد مضى العمل ضائعًا، لأنه غير مقبول عند الخالق ولا عند الخلق، لأن قلوبهم قد التفتت عنه، فقد ضاع العمل وذهب العمر.

٣- فليتق الله العبد، وليقصد من ينفعه قصده، ولا يتشاغل بمدح من عن قليل يبتلى هو... وهم.

فصل: علماء السوء

١- الصبر الصبر على شظف العيش، والبعدُ عن أرباب الهوى، فما يتم دين إلا بذلك.

٢- متى وقع الترخص حمل إلى غيره، كالشاطئ إلى اللجة. وإنما هو طعام دون طعام، لباس دون لباس، ووجه أصبح من وجه، وإنما يسيرة أيام يسيرة.

فصل: سلم تسلم

١- من تفكر في عظمة الله عز وجل، طاش عقله، لأنه يحتاج أن يثبت موجودًا لا أول لوجوده. هذا شيء لا يعفه الحس، وإنما يُقربُه العقل ضرورة، وهو متحير بعد هذا الإقرار، ثم يرى من أفعاله ما يدل على وجوده ثم تجري في أقداره أمور لولا ثبوت الدليل على وجوده لأوجبت الجحد، فإنه يفرق البحر لبني

إسرائيل، وذلك شيء لا يقدر عليه سوى الخالق، ويصير العصا حية ثم يعيدها تلقف ما صنعوا ولا يزيد فيها شيء. فهل بعد هذا بيان؟

٢- لو قد بانت الحكمة في أفعال الخالق جحد العقل جحد موسى يوم الخضر. فمتى رأيت العقل يقول لم فأخرسه بأن تقول له: يا عاجز أنت لا تعرف حقيقة نفسك، فما لك والاعتراض على المالك؟

٣- إياك أن تفسح لعقلك في تعليل، أو أن تطلب له جواب اعتراض، وقل له: سّلِّمْ تَسْلَمُ، فإنك لا تدري غور البحر إلا وقد أدركك الغرق قبل ذلك. هذا أصل عظيم، متى فات الآدمي أخرجه الاعتراض إلى الكفر.

فصل: لا غفلة لكامل العقل

١- العقل كلما لتلمح العواقب أعرض عن الدنيا، والتفت إلى ما تلمح ولا لذة عند بشيء من العاجل، وإنما يلتذ أهل الغفلة عن الآخرة، ولا غفلة لكامل العقل. ولهذا لا يقدر على مخالطة الخلق، لأنهم كأنهم من غير جنسه.

فصل: دليل الخلق

١- سبحان من ظهر لخلقه حتى لم يبق خفاء، ثم خفي حتى كأنه لا ظهور. أي ظهور أجلى من هذه المصنوعات التي تنطق كلها بأن لي صانعًا صنعني ورتبني على قانون الحكمة.

فصل: تدين فاسد

١- الويل لعامي قليل العلم لا يتهم نفسه في واقعة ولا يذاكر من هو أعلم منه، بل يقطع بظنه ويقدم. وهذا أصل ينبغي تأمله، فقد هلك في إهماله خلق لا تحصى. وقد رأينا خلقًا من العوام إذا وقع لهم واقعة لم يقبلوا فتوى (وجوه يؤمئذٍ خاشعة * عاملة ناصبة* تصلى نارًا حامية) (الغاشية: ٢: ٤).

فصل: قوام الأنفس

١- للنفس ذخائر في البدن، منها الدم والمني وأشياء تتقوى بها. فإذا فقدت الذخائر ولم يبق منها شيء ذهبت.

٢- ليحفظ ذو الأنفة على نفسه حشمته، بألا يقف في موقف يعاب به، فإنه يتمتع بذخيرة العز والأنفه ويضاد النفس وجود ضد ذلك، وكذلك ينبغي أن يستعد

لآخر عمره بالمال مخافة أن يحتاج فيذل أو يسعى وقد كَلَّتِ الآلة. ولا يخلف لعدوه، أولى من أن يحتاج إلى صديقه.

٣- لا يلتفت إلى من يذم المال، فإنهم الحمقى الجهال، الذين اتكلوا على خبز الراحة، فاستطابوا الكسل والدعة، ولم يأنفوا من تناول الصدقة، ولا من التعرض للسؤال. وقد كان لكل نبي معاش، ولجميع الصحابة، وخلفوا أموالًا كبيرة. فافهم هذا الأصل، ولا تلتفت إلى كلام الجُهال.

فصل: الاحتراز واجب

١- ينبغي للعاقل أن يحترز غاية ما يمكنه، فإذا جرى القدر مع احترازه لم يُلم، والاحتراز ينبغي من كل شيء يمكن وقوعه، وأخذ العدة لذلك واجب، وهذا يكون في كل حال، فقد قص رجل ظفره فجار عليه فخبثت يده فمات.

٢- لا ينبغي أن يثق بمعامل إلا بوثيقة. يبادر بالوصية مخافة أن يطوقه الموت، ويحترز من صديقه فضلًا عن عدوه، ولا يثق بمودة من قد آذاه هو، فإن الحقد في القلوب قَلَّمَا يزول. وليحترز من زوجته، فربما أطلعها على سره، ثم طلقها فيتأذى بما تفعل به.

فصل: اللذات المادية

١- ليس في الدنيا أطيب عيشًا من منفرد عن العالم بالعلم، فهو أنيسه وجليسه قد قنع بما سلم به دينه من المباحات الحاصلة، لا عن تكلف ولا تضييع دين، وارتدى بالعز عن الذل للدنيا أهلها، والتحف بالقناعة باليسير، إذ لم يقدر على الكثير، فوجدته يسلم دينه ودنياه، واشتغاله بالعلم يدله على الفضائل، ويفرحه في البساتين، فهو يسلم من الشيطان والسلطان والعوام بالعزلة، ولكن لا يصلح هذا إلا للعالِم، فإنه إذا اعتزل الجاهل فاته العلم فتخبط.

فصل: التثبت خير من النزق

١- ما اعتمد أحد أمرًا إذا همّ بشيء مثل التثبت، فإنه متى عمل بواقعة من غير تأمل للعواقب كان الغالب عليه الندم، ولهذا أمر بالمشاورة.

٢- أشد الناس تفريطًا من عَمِلَ مبادرة في واقعة من غير تثبت ولا استشارة، خصوصًا فيما يوجبه الغضب، فإنه طلب الهلاك أو الندم العظيم.

فصل: عبيد المال

١- سبحان من جعل الخلق بين طَرْفي نقيض، والمتوسط منهم يَنْدرُ.

فصل: الخل الوفي

١- إياك أن تنخدع بمن يظهر لك الود، فإنه مع الزمان يُبين لك الحال فيما أظهره، وربما أظهر لك ذلك لسبب يناله منك.

فصل: في القناعة

١- رأيت المعافى لا يعرف قدر العافية إلا في المرض، كما لا يعرف شكر الإطلاق في الحبس.

٢- العجب لمطلق يؤثر القيد، ومستريح يؤثر التعب.

فصل: إنما يخشى الله من عباده العلماء

١- إذا تم علم الإنسان لم ير لنفسه عملًا، وإنما يرى إنعام الموفق لذلك العمل الذي يمنع العاقل أن يرى لنفسه عملًا أو يعجب به.

فصل: ابك على خطيئتك

١- الحذر الحذر من كل ما يوجب خجلًا، وهذا أمر قلّ أن ينظر فيه تائب أو زاهد، لأنه يرى أن العفو قد غمر الذنب بالتوبة الصادقة، وما ذكرته يوجب دوام الحذر والخجل.

فصل: زهاد كذابون

١- لو علم المرائي أن قلوب الذين يرائيهم بيد من يعصيه لما فعل.

فصل: ليس لك من الأمر شيء

١- ينبغي للعاقل أن يأنس بانعكاس الأغراض. فإن دعا وسأل بلوغ غرض تعبد الله بالدعاء، فإن أعطي مراده شكر، وإن لم ينل مراده فلا ينبغي أن يلح في الطلب، لأن الدنيا ليست لبلوغ الأغراض، وليقل لنفسه: (وعسى أن تكرهوا شيئًا وهو خير لكم) (البقرة: ٢١٦).

٢- ينبغي للعاقل أن يوطن نفسه على الصبر، وأن يعلم أن ما حصل من المراد فلطف، وما لم يحصل فعلى أصل الخلق والجبلة للدنيا.

فصل: ولا تركنوا إلى الذين ظلموا

١- لا خير والله في سعة من الدنيا ضيقت طريق الآخرة، وأنا أفتدي أقوامًا صابروا عطش الدنيا في هجير الشهوات زمان العمر حتى رووا يوم الموت من شراب الرضا، وبقيت أذكارهم تُروى، فتروى صدأ القلوب وتجلوا صداها.

٢- مضت لذات المترخصين وبليت الأبدان، ووهن الدين، فالصبر الصبر يا من وفق، ولا تغبطن من اتسع له أمر الدنيا، فإنك إذا تأملت تلك السعة رأيتها ضيقًا في باب الدين، ولا ترخص لنفسك في تأويل، فعمرك في الدنيا قليل.

٣- متى ضجت النفس لقلة صبره، فَاتْلُ عليها أخبار الزهاد، فإنها ترعوي وتستحي وتنكسر، إن كانت لها همة أو فيها يقظة.

فصل: الرزق الحرام

١- تأملت أحوال الناس فرأيت جمهورهم مُنسلاً من ربقة العبودية. فإن تعبدوا فعادةٌ أو فيما لا يُنافي أغراضهم منافاة تؤذي القلوب.

٢- من الناس من يغره تأخير العقوبة، ومنهم من كان يقطع بالعفو، وأكثرهم متزلزل الإيمان، فنسأل الله أن يميتنا مسلمين.

فصل: ومن يتق الله يجعل له مخرجًا

١- من العجيب سلامة دين ذي العيال إذا ضاق به الكسب، فما مَثَلَهُ إلا كَمَثَلِ الماء إذا ضرب في وجهه سكر[1]، فإنه يعمل باطنًا ويبالغ حتى يفتح فتحة، فكذلك

(١) سكر: سد.

صاحب العيال إذا ضاق به الأمر لا يزال يحتال، فإذا لم يقدر على الحلا، ترخص في تناول الشبهات، فإن ضعف دينه مدّ يده إلى الحرام.

٢- رزقُ الله قد يكون بتيسير الصبر على البلاء والأيام تندفع، وعاقبة الصبر الجميل جميلة.

فصل: أرجى الأعمال

١- ليس للقيد ذنب فَيُلاَمُ، إنما ينبغي التشاغل مع من قيده والسلام.

فصل: اليأس من الناس

١- ينبغي للإنسان أن يجتهد في جمع همه لينفرد قلبه بذكر الله سبحانه وتعالى وإنفاذ أوامره والتهيؤ للقائه. وذلك إنما يحصل بقطع القواطع، والامتناع عن الشواغل، وما يمكن قطع القواطع جملة، فينبغي أن يقطع ما يمكن منها.

٢- من أراد اجتماع همه فعليه بالعزلة بحيث لا يسمع صوت أحد، فحينئذ يخلو القلب بمعارفه، ولا تجد النفس رفيقًا مثل الهوى يذكرها ما تشتهي.

فإذا اضطر إلى المخالطة كان على وفاق، كما تتهوى الضفدع لحظة ثم تعود إلى الماء، فهذا طريق السلامة، فتأمل فوائدها تطبْ لك.

فصل: العمر فرصة

١- يا قصير العمر اغتنم يومي مني، وانتظر ساعة النفر، وإياك أن تشغل قلبك بغير ما خلق له. واحمل نفسك على المرِّ، واقمعها إذا أبت، ولا تسرح لها في الطول، فما أنت إلا في مرعى، وقبيح بمن كان بين الصفين أن يتشاغل بغير ما هو فيه.

فصل: قلب صافٍ

١- من رزق قلبًا طيبًا، ولذة مناجاة، فليراع حاله ، وليحترز من التغيير وإنما تدوم له حاله بدوام التقوى.

فصل: همة المؤمن

١- إن المشتاق إلى الكعبة يهون عليه رمل زرود، والتأئق[1] إلى العافية لا يُبالي بمرارة الدواء.

(١) المتائق: أي المشتاق.

فصل: عقول الحكماء

١- واعجبًا أو ما تقضي العقول بوجوب طاعة الحكيم الذي تعجز عن معرفة حكمة مخلوقاته فكيف تعارضه في أفعاله؟ نعوذ بالله من الخذلان.

من فصل وعظ السلطان

١- ينبغي لمن وعظ سلطانًا أن يبالغ في التلطف، ولا يواجهه بما يقتضي أنه ظالم. فإن السلاطين حظهم التفرد بالقهر والغلبة، فإذا جرى نوع توبيخ لهم كان إذلالًا، وهم لا يحتملون ذلك، وإنما ينبغي أن يمزج وعظه بذكر شرف الولاية، وحصول الثواب في رعاية الرعايا، وذكر سير العادلين من أسلافهم، ثم لينظر الواعظ في حال الموعوظ قبل وعظه.

فصل: مدعو النبوة وزيفهم

١- الحق لا يشتبه بباطل ، إنما يموه الباطل عند من لا فهم له.

فصل: الاشتغال بخدمة الخالق

١- واعجبًا من موجود لا يفهم معنى الوجود، فإن فهم لم يعمل بمقتضى فهمه. يعلم أن العمر قصير، وهو يضيعه بالنوم والبطالة، والحديث الفارغ، وطلب اللذات، وإنما أيامه أيام عمل لا زمان فراغ.

٢- السعيد من انتبه لنفسه وعمل بمقتضى عقله، واغتنم زمنًا نهايته الزمن وانتهب عمرًا بأقرب انقطاعه.

٣- سبحان مَنْ مَنَّ على أقوام فهموا المراد فأتعبوا الأجساد، وغطى على قلوب آخرين فوجدوهم كالعدم. وكيف لا يتعب العاقل بدنه إتعاب البُدْنِ والمقصود مِنَى[1].

٤- أترى ما بال الحق متجليًا في إيجادك أيها العبد! بلى، والله إن وجودك دليل وجوده، وإن نعمه عليك دليل جوده. فكما قَدمَّكَ على سائر الحيوانات، فَقَدِّمْهُ في قلبك على كل المطلوبات.

---

(١) يقصد (منى) وهي منطقة بمكة ترمي في الجمار، ويذبح فيها الهدي.

فصل: الكيس من دان نفسه

١- في نظر العاقل إلى نفسه ما يشغله عن النظر إلى خراب الدنيا وفراق الإخوان، وإن كان ذلك مزعجًا. ولكن شُغْلَ من احترق بيته بنقل متاعه يلهيه عن ذكر بيوت الجيران.

من فصل جحود وسفالة

١- كيف يحسن من عاقل ألا يعرف بوجوده وجود من أوجده؟ وكيف ينحت صنمًا بيده ثم يعبده؟ غير أن الحق سبحانه وتعالى وهب لأقوام من لاعقل ما يثبت عليهم الحجة، وأعمى قلوبهم كما شاء عن المحجة.

فصل: مخالطة من لا يصلح حجاب

١- ما رأيت أكثر أذى للمؤمن من مخالطة من لا يصلح، فإن الطبع يسرق. فإن لم يتشبه بهم ولم يسرق منهم فتر عن عمله. فإن رؤية الدنيا تحث على طلبها.

فصل: نعم لا تحصى

٢- العجب ممن يقف للخدمة يسأل حظ نفسه. كيي يرى أنه قد فعل شيئًا. إنما أنت في حاجتك، ومنة من أيقظك لا تقاومها خدمتك.

٣- من اشتغل لخدمة الخلق أعرض عن الحق، فإنما يُربي رياسته، وذلك يوجب الإعراض عن الحق، وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه.

فصل: حقيقة الشهوة

١- ألا أن عين الحسِّ مشغولة بالنظر إلى الحاضر. تريزوال اللذة وبقاء إثمها، ولو رأى اللص قطع يده هان عنده المسروق. فمن جمع الأموال ولم ينفقها فما رآها بعينها، إذ هي آلة لتحصيل الأغراض، ولا تراد لذتها.

٢- من رأى المعصية بعين الشهوة فما رآها إذ فيها من العبوب ما شئت، ثم ثمرتها عقوبة آجلة، وفضيحة عاجلة.

٣- من تفكر في عمل الحبال نظر في زرع القنب، وتسريحه وفتله، والحديد وجلبه وضربه، والخشب ونباته ونجارته، ودوران الدولاب وعمله، ثم استحصاد الزرع وحصده وتذريته وطحنه، وعجنه وخبزه، ومن عمل التنور وجلب الشوك. ومن هذا الجنس إذا نظر فيه كثر جدًا قالوا لا تنال لقمة إلا وقد عمل فيها ثلاثمائة نفس أو نحوهم.

٤- كم يتعلق بالزنا من لا يفي معشار عشرها بلذة لحظة ، منها هتك العرض بين الناس، وكشف العورات المحرمة، وخيانة الأخ المسلم في زوجته، إن كانت متزوجة وفضيحة المزني لها وهي كأخت له أو بنت.

فصل: حكم وأسرار

١- إن المستحسنات في الجملة أنموذج ما أعد من الثواب. والمؤذيات أنموذج ما أعد من العقاب. وما خلق شيء يضر إلا وفيه منفعه.

٢- الجاهل عدو لما جهله، وأكبر الحماقة رد الجاهل على العالم.

فصل: جلال العبادة وجمال العابدين

١- كلما أوغلت الفهوم في معرفة الخالق فشاهدت عظمته ولطفه ورفعته، تاهت في محبته، فخرجت عن حد الثبوت وقد كان خلق من الناس غلبت عليهم محبته، فلم يقدروا على مخالطة الخلق. ومنهم من لم يقدر على السكوت عن الذكر، وفيهم من لم ينم إلا غلبة، وفيهم من هام في البراري، وفيهم من احترق في بدنه. فيا حسن مخمورهم ما ألذ سكره، ويا عيش قلقهم ما أحسن وجده...!!

٢- هل رأيت قطرة عراة أحسن من المحرمين؟ هل رأيت للمتزينين برياش الدنيا سمتًا كأثواب الصالحين ؟ هل رأيت خمارًا أحسن من نعاس المتهجدين؟ هل رأيت سكرًا أحسن من صعق الواجدين؟ هل شاهدت ماء صافيًا أصفى من دموع المتأسفين؟ هل رأيت رءوسًا مائلة كرءوس المنكسرين؟ هل لصق بالأرض شيء أحسن من جباه المصلين؟ هل حرك نسيم الأسحار أوراق الأشجار فبلغ تحريكه أذيال المتهجدين؟ هل ارتفعت أكف وانبسطت أيد فضاهت أكف الراغبين؟ هل حرك القلوب صوت ترجيح لحن أو رنة وترٍ كما حرك حنين المشتاقين؟ وإنما يحسن التبذل في تحصيل أو في الأغراض فلذلك حسن التبذل في خدمة المنعم.

فصل: المبذرون

١- الجارحة إذا دام تعطلها عن عملها الذي هيئت له تعطلت وخمدت.

٢- شغل العقل التفكر، والنظر في عواقب الأحوال، والاستبدال بالشاهد على الغائب.

فصل: لكل مقام مقال

١- من المخاطرات العظيمة تحديث العوام بما لا يتحتمله قلوبهم، أو بما قد رسخ في نفوسهم ضده.

٢- الله الله أن تحدث مخلوقًا من العوام بما لا يحتمله دون احتيال وتلطف، فإنه لا يزول ما في نفسه. ويخاطر المحدث له بنفسه.فكذلك كل ما يتعلق بالأصول.

فصل: ميزان الرجولة

١- لا يغرك من الرجل طنطنته وما تراه يفعل من صلاة وصوم وصدقة وعزلة عن الخلق. إنما الرجل هو الذي يراعي شيئين: حفظ الحدود، وإخلاص العمل.

٢- الرجل كل الرجل هو الذي يراعي حدود الله، وهي ما فرض عليه وألزم به، والذي يحسن القصد، فيكون عمله وقوله خالصًا لله تعالى، لا يريد به الخلق ولا تعظيمهم له.

٣- علامة المخلص أن يكون في جلوته كخلوته، وربما تكلف بين الناس التبسم والانبساط لينمحي عنه اسم زاهد.

٤- اعلم أن المعمول معه لا يريد الشركاء، فالمخلص مفرد له بالقصد، والمرائي قد أشرك ليحصل له مدح الناس. وذلك ينقلب، لأن قلوبهم بيد من أشرك معه، فهو يقلبها عليه لا إليه.

٥- الموفق من كانت معاملته باطنة وأعماله خالصة، وذاك الذي تحبه الناس وإن لم يبالهم، كما يمقتون المرائي وإن زاد تعبده.

فصل: الاعتدال

١- لعمري إن في الجدة لذة، ولكن رُبَّ مستور إذا انكشف افتضح.

٢- رب لقمة منعت لقمات، ورب لذة كانت سببًا في انقطاع لذّات.

٣- ينبغي أن يكون النظر إلى باب الدين قبل النظر إلى الحسن. فإنه إذ قَلَّ الدين لم ينتفع ذو مروءة بتلك المرأة.

فصل: أعيت الحماقة من يداويها

١- إذا رأيت قليل العقل في أصل الوضع فلا تَرْجُ خيره، فأما إن كان وافر العقل لكنه يغلب عليه الهوى فارْجُه. وعلامة ذلك أنه يدبر أمره في جهله، فيستتر من الناس إذا أتى فاحشة، ويراقب في بعض الأحوال، ويبكي عند الموعظة، ويحترم أهل الدين، فهذا عاقل مغلوب بالهوى. فإذا انتبه بالندم انقبض شيطان الهوى، وجاء ملك العقل. فأما إذا كان قليل العقل في الوضع، وعلامته ألا ينظر في عاقبة عاجلة ولا آجله، ولا يستحي من الناس أن يروه على فاحشة، ولا يُدبر أمر دنياه فذاك بعيد الرجاء. وقد يندر من هؤلاء من يفلح.

فصل: التبصر في العواقب

١- ينبغي الاحتراز من كل ما يجوز أن يكون، ولا ينبغي أن يُقال: الغالب السلامة.

٢- ينبغي للمعافى أن يُعدَّ للمرض، وللقويِّ أن يَتَهيَّأ للهرم، وفي الجملة فالنظر في العواقب وفيما يجوز أن يقع شأن العقلاء. فأما النظر في الحالة الراهنة فحسب، فحالة الجهلة الحمقى.

فصل: لا تيأس من روح الله

١ – من يريد تعجيل الإجابة ويَتَذَمر إن لم تتعجل، فذاك ضعيف الإيمان، يرى أن له حقًّ في الإجابة، وكأنه يتقاضى أجرى عمله.

٢- إياك إياك أن تستطيل زمان البلاء، وتضجر من كثرة الدعاء، فإنك مُبتلى بالبلاء، متعبد بالصبر والدعاء، ولا تيأس من روح الله وإن طال البلاء.

فصل: عملة زائفة

١- تذكرت في سبب دخول جهنم، فإذا هي المعاصي. فنظرت في المعاصي، فإذا هي حاصلة من طلب اللذات. فنظرت في اللذات، فرأيتها خدعًا ليست

بشيء، وفي ضمنها من الأكدار ما يصيرها نغصًا فتخرج عن كونها لذات. فكيف يتبغ العاقل نفسه ويرضى بجهنم لأجل هذه الأكدار؟

٢- قس جميع المذوقات (أي من الحرام، فإن لذاتها إذا وزنت بميزان العقل لا تفي بمعشار عشير عواقبها القباح في الدنيا والآخرة.

٣- سبحان من أنعم على أقوام، كلما لاحَتْ لهم لذة نصبوا ميزان العقل ونظروا فيما يجني ، وتلمحوا ما يؤثر تركها فرجحوا الأصلح. وطمس على قلوب فهي ترى صورة الشيء وتنسى جناياته.

٤- قدِّر حصول ما طلبتَ من اللذات وذهابها وأحسب أنها قد كانت وقد هانت وتخلصت من محنها. أين أنت من غيرك؟ أين تعب عالم قد درس العلم خمسين سنة؟ ذهب التعب وحصل العلم، وأين لذة البطال؟ ذهبت الرحة وأعقبت الندم.

فصل: في الشهوة الهلاك

١- من وقف على موجب الحس هلك. ومن تبع العقل سلم، لأن مجرد الحس لا يرى إلا الحاضر وهو الدنيا. وأما العقل فإنه ينظر إلى المخلوقات، فيعلم وجود خالق منح وأباح، وأطلق وحَظَر. وأخبر: أني سائلكم ومبتليكم ليظهر

دليل وجودي عندكم بترك ما تشتهون طاعة لي. وإني قد بنيت لكم دارًا غير هذه، لإثابة من يطيع، وعقوبة من يخالف.

٢- إنا نرى الكثير ممن عمل بمقتضى عقله، قد سلمت دنياه وآخرته، ومُيز بين الخلق بالتعظيم، وكان عيشه في لذاته غالبًا خيرًا من عيش موافق للهوى، فليعتبر ذو الفهم بما قلت، وليعمل بمقتضى الدليل وقد سلم.

فصل: الإسراف الجنسي

١- العجب لمؤثر شهوات الدنيا. ألا يتدبر أمرها بالعقل قبل أن يصير إلى منقولات الشرع؟

٢- طول الصحبة يكشف العيوب.

٣- لو تفكّر الإنسان في جسد مملوء بالنجاسة ما طاب له ضمه، غير أن الشهوة تغطي عين الفكر. فالعاقل من حفظ دينه ومروءته بترك الحرام، وحفظ قُوتَّه في الحلال فأنفقها في طلب الفضائل، من علم أو عمل، ولم يَسْعَ في إفناء عمره وتشتيت قلبه في شيء لا تحسن عاقبته.

فصل: العقل السليم في الجسم السليم

١- معرفة الله سبحانه لا تحصل إلى لكامل العقل، صحيح المزاج، والترقي إلى محبته بذلك يكون.

٢- إن أقوامًا قَلَّتَ عقولهم، وفسدت أمزجتهم، فساءت مطامعهم، وَقَلَّتْ، فتخايلت لهم الخيالات الفاسدة، فادَّعوا معرفة الحق ومحبته، ولم يكن عندهم من العلم ما يصدهم عما ادعوا فهلكوا.

٣- العاقل العالم يسير في الطريق بين الرفيقين: العلم والعقل.

٤- إن البدن مبني على أخلاط إذا اعتدلت وقعت السلامة، وإذا زاد بعضها وقع المرض.

فصل: استقامة الظاهر والباطن

١- ما رأيت أظرف من لعب الدنيا بالعقول، وقد سمعنا ورأينا جماعة من الفطناء الكاملي العقل لعبت بهم الدنيا حتى صاروا كالمجانين. فولُوا الولايات فخرجوا إلى القتل والضرب والحبس والشتم وذهاب الدين، والمباشرة للظلم كله لأجل دنيا تذهب سريعًا. وهي في مدة إقامتها معجونة بالنغص.

٢- يا أيها المرزوق عقلًا لا تبخسه حقه، ولا تطفئ نوره، واسمع ما نشير به، ولا تلتفت إلى بكاء طفل الطبع لفوات غرضه. فإنك إن رحمت بكاءه لم تقدر على فطامه، ولم يمكنك تأديبه، فيبلغ جاهلًا فقيرًا.

٣- لا تنظر إلى لذة المترفين، وتلمح عواقبهم، ولا تضق صدرًا بضيق المعاش، وعلل الناقة بالحدو تسير.

٤- إن حصل لك شيء من المباح لا منٌّ فيه ولا أذى ولا نلته بسؤال ولا من يد ظالم تعلم أن ماله حرام أو فيه شبهة، فافسح لنفسك في مباحاتها بمقدار ما تحتاج إليه، وكن مقدرًا للنفقة غير مبذر. فإن الحلال لا يحتمل السرف، ومتى أسرفت احتجت إلى التعرض للخلق والتناول من الأكدار، وإن ضاق بك أمر فاصبر، فإن ضعف الصبر فسل فاتح الأبواب. فهو الكريم وعنده مفاتح الغيب.

٥- إياك أن تبذل دينك بتصنع للخلق أو بتقرب إلى الأمراء وتستعطي أموالهم.

٦- إن احتجت فاسأله، وإن ضعفت فارغب إليه، ومتى ساكنت الأسباب انقطعت عنه، ومتى استقام باطنك استقامت لك الأمور.

فصل: فلينظر أحدكم من يخالل!!

١- رأيت نفسي تأنس بخلطاء نسميهم أصدقاء، فبحثت بالتجارب عنهم، فإذا أكثرهم حساد على النعم، وأعداء لا يسترون زلة، ولا يعرفون لجليس حقًا، ولا يواسون من مالهم صديقًا. فتأملت الأمر، فإذا الحق سبحانه يغار على قلب المؤمن أن يجعل له شيئًا يأنس به، فهو يكدر عليه الدنيا وأهلها ليكون أنسه به.

٢- إياك أن تميل إلى غيره، فإنه غيور، وأن تشكو من أقداره، فربما غضب ولم يعتب.

٣- ما أعرف العيش إلا لمن يعرفه ويعيش معه، ويتأدب بين يديه في حركاته وكلماته كأنه يراه، ويقف على باب طرفه حارسًا من نظرة لا تصلح، وعلى باب لسانه حافظًا له من كلمة لا تحسن، وعلى باب قلبه حماية لمسكنه من دخول الأغيار. ويستوحش من الخَلق شغلًا به، وهذا يكون على سيرة الروحانيين. فأما المخلِّط فالكدر غالب عليه، والمحق لا يطلب إلا الأرفع.

فصل: علماء القشور

١- أكثر الناس، صور العلم عندهم صناعة، فهي تكسبهم الكبر والحماقة.

٢- ليس العلم صور الألفاظ، إنما المقصود فهم المراد منه، وذاك يورث الخشية والخوف، ويرى المنة للمنعم بالعلم، وقوة الحجة له على المتعلم.

فصل: الكفر حماقة

١- ليس للأدمي أعز من نفسه، وقد عجبت ممن يخاطر بها ويعرضها للهلاك. والسبب في ذلك: قلة العقل، وسوء النظر، فمنهم من يعرضها للتلق ليمدح بزعمه.

٢- العجب بمن يهمل النظر فيما إذا توانى فيه أوجب الخلود في العقاب الدائم. وأعجب من الكل جاحد الخالق، وهو يرى إحكام الصنعة، ويقول: لا صانع. والسبب في هذه الأشياء كلها قلة العقل، وترك إعماله في النظر والاستدلال.

فصل: كتمان السر

١- لا ينبغي للعاقل أن يظهر سرًا حتى يعلم أنه إذا ظهر لا يتأذى بظهوره. ومعلوم أن السبب في بث السر طلب الاستراحة ببثه، وذلك ألم قريب فليصبر عليه. فرب مظهر سرًّا لزوجته، فإذا طلقت بثته، وهلك. أو لصديقه فيظهره عليه حسدًا له إذا كان مماثلًا، وإن كان عاميًّا فالعامي أحمق. ورُبَّ سرٍّ أظهر فكان سبب الهلاك.

فصل: ثمن المجد

١- ما يتناهى في طلب العلم إلا عاشق العلم. والعاشق ينبغي أن يصبر على المكاره.

٢- الصبر الصبر أيها الطالب للفضائل، فإن لذة الراحة بالهوى أو بالباطل تذهب ويبقى الأسى.

٣- افسخ عقد الهوى على الغبن الفاحش. واعلم أن الفضائل لا تنال بالهوينا، وأن يسير التفريط يشين وجه المحاسن. فالبدار البدار ونفس النفس يتردد، وملك الموت غائب ما قدم بعد، وانهض بعزيمة عازم (نقلها الشيخ عن غيره).

٤- في الآخرة بيننا وبينهم تفاوت إن شاء الله تعالى. فإن لفت أرباب الدنيا أعناقهم يعلمون قدر مزيتنا. وإن غلت أيديهم عن إعطائنا فلذة العفاف أطيب، ومرارة المنن لا تفي بالمأخوذ، وإنما هو طعام دون طعام، ولباس دون لباس، وإنها أيام قلائل.

٥- العجب لمن شرفت نفسه حتى طلب العلم إذ لا يطلبه إلا ذو نفس شريفة، كيف يذل لبذل من لا عزة إلا بالدنانير، ولا مفخرة له إلا بالمكنة.

فصل: ارفقوا بالأبدان

١- لا ينبغي للإنسان أن يحمل على بدنه ما لا يطيق، فإن البدن كالراحلة إن لم يرفق بها لم تصل بالمركب.

٢- العاقل يعطي بدنه من الغذاء ما يوافقه كما ينقي الغازي شعير الدابة. ولا تظنن أني آمر بأكل الشهوات، ولا بالإكثار من الملذوذ، إنما آمر بتناول ما يحفظ النفس، وأنهى عما يؤذي البدن. فأما التوسع في المطاعم، فإنه سبب النوم والشبع يعمي القلب، ويهزل البدن ويضعفه. فافهم ما أشرت إليه، فالطريق هي الوسطى.

فصل: غباء العصاة

١- إذا تكامل العقل قوي الذكاء والفطنة، والذكي يتخلص إذا وقع في آفة.

فصل: الصبر والعفة

١- قد أمرنا بجمع الهم لذكر الآخرة، والهوى يشتته فكيف إذا اجتمعت إليه حاجات لازمة من طلب قوت البدن وقوت العيال. وهذا يبكر إلى دكانه ويتفكر في التحصيل، ويستعمل آلة الفهم في نيل ما لابدَّ منه.فأيّ هّمٍّ يجتمع منه خصوصًا إن أخذه الشره في صورة فيمضي العمر، فينهض من الدكان إلى القبر.

فصل: في العزلة

١- العزلة عن الخلق سبب طيب العيش. ولابدَّ من مخالطة بمقدار، فدار العدوَّ واستحله، فربما كادك فأهلكك، وأحسن إلى من أساء إليك. واستعن على أمورك بالكتمان.

٢- لا ينبغي أن تطلب لحاسدك عقوبة أكثر مما هو فيه، فإنه في أمر عظيم متصل لا يرضيه إلا زوال نعمتك. وكلما امتدت امتد عذابه، فلا عيش له. وما طاب عيش أهل الجنة إلا حين نزع الحسد والغل من صدورهم ولولا أنه نزع تحاسدوا وتنغص عيشهم.

فصل: الذكر الجميل

١- ما سار مع العقل، وخالف طريق الهوى، ونظر إلى العواقب، أمكنه أن يتمتع من الدنيا أضعاف ما تمتع من استعمل الشهوات. فأما المتعجل فيفوت نفسه حظ الدنيا والذكر الجميل، ويكون ذلك سببا لفوات مراده من اللذات.

٢- من أتقى الله، وتشاغل بالعلم، أو تحقيق الزهد، فتح له من المباحات ما يلتذ به كثيرًا، ومن تقاعد به الكسل عن العلم أو الهوى عن تحقيق الزهد لم يحصل له إلا اليسير من مراده.

فصل: العمل لله وحده

١- ينبغي أن يكون العمل كله لله، ومعه، ومن أجله، وقد كفاك كل مخلوق، وجلب لك كل خير، وإياك أن تميل عنه بموافقة هوى وإرضاء مخلوق، فإنه يعكس عليك الحال، ويفوتك المقصود.

فصل: في الاعتدال منجاة

٢- لما كان اللحم لا ينوب عنه إلا اللحم، أباح الشرع ذبح الحيوان، ليتقوى به من هو أشرف منه.

٣- من مال إلى تدبير العقل سلم في دنياه وآخرته. ومن أعرض عن مشاورته أو عن القبول منه تعجل عطبه. فليفهم مقصود الموضوعات وحكمها والمراد منها، فمن لم يفهم ولم يعمل بمقتضى ما فهم كان كأجهل العوام، وإن كان عالمًا.

فصل: من كنوز الإحسان

١- ينبغي أن يكتم ما في النفوس من ضغن على الأعداء. فإن أمكن الانتقام منهم كان العفو انتقامًا لأنه يذلهم.

٢- العاقل من تأمل العواقب ورعاها. وصَوَّرَ كل ما يجوز أن يقع فعمل بمقتضى الحزم، وأبلغ من هذا تصوير وجود الموت عاجلًا، لأنه يجوز أن يأتي بغتة من

غير مرض. فالحازم من استعد له وعمل عمل من لا يندم إذا جاءه. وحذر من الذنوب فإنها كعدو مراصد بالجزاء. وادَّخر لنفسه صالح الأعمال، إنها كصديق صديق ينفع وقت الشدة.

فصل: قراءة في «المنتظم»

١- (الدنيا فخ والناس كعصافير، والعصفور يريد الحبة وينسى الخنق، قد نسي أكثر الخلق مآلهم ميلًا إلى عاجل لذاتهم، فاقبلوا يسامرون الهوى ولا يلتفتون إلى مشاورة العقل. فلقد باعوا بلذة يسيرة خيرًا كثيرًا، واستحقوا بشهوات مرذولة عذابًا عظيمًا.)

فإذا نزل بأحدهم الموت قال: ليتني لم أكن، ليتني كنت ترابًا، فيقال له: الآن؟ فوا أسفي لفائت لا يمكن استدراكه، ولمرتهن لا يصح فكاكه، ولندم لا ينقطع زمانه، ولمعذب عز عليه إيمانه بالله. ما نفعت العقول إلا لمن يلتفت إليها ويعول عليها. ولا يمكن قبول مشاورها إلا بعزيمة الصبر عما يشتهي.

٢- العجب من مؤمن يوقن، ولا ينفعه يقينه، ويعقل العواقب ولا ينفعه عقله.

فصل: علو الهمم وقصرها

الدنيا دار سباق إلى أعالي المعالي، فينبغي لذي الهم ألا يقصر في شوطه فإن سبق فهو المقصود، وإن كبا جواده مع اجتهاده لم يلم.

فصل: آفة العجب

١- المصيبة العظمى رضا الإنسان عن نفسه واقناعه بعلمه، وهذه محنة قد عمت أكثر الخلق. فترى اليهودي أو النصراني يرى أنه على الصواب، ولا يبحث ولا ينظر في دليل نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم، وإذا سمع ما يلين قلبه مثل القرآن المعجز هرب لئلا يسمع.

وكذلك كل ذي هوى يثبت عليه، إما لأنه مذهب أبيه وأهله، أو لأنه نظر نظرًا أول فرآه صوابًا، ولم ينظر فيما يناقضه، ولم يباحث العلماء ليبينوا له خطأه.

٢- ينبغي للإنسان أن يبالغ في معرفة الدليل ولا يساكن شبهته، ولا يثق بعلم نفسه.

فصل: الديان لا ينسى

١- اعلم أن الجزاء بالمرصاد إن كانت حسنة أو كانت سيئة، ومن الاغترار أن يظن المذنب إذا لم ير عقوبة أنه قد سومح، وربما جاءت العقوبة بعد مدة وقل من فعل ذنبًا إلا وقوبل عليه.

٢- المؤمن إذا تاب وندم، كان أسفه على ذنبه في كل وقت أقوى من كل عقوبة. فالويل لمن عرف مرارة الجزاء الدائم، ثم آثر لذة المعصية لحظة.

فصل: حساب النفس

١- والله لأنادين على نفسي نداء المكشفين معائب الأعداء. ولأنوحن نوح الثاكلين للأبناء إذ لا نائح لي ينوح علي لهذه المصائب المكتوبة، والخلال المغطاة التي قد سترها من خبرها، وغطاها من علمها.

فصل: عداوة الأقارب صعبة

١- ينبغي لمن فضل على أقاربه أن يتواضع لهم، ويرفعهم جهده، ويرفق لهم، لعله يسلم.

فصل: آثار الأدب

١- الأدب وحسن العشرة يتبع لطافة البدن، وصفاء الروح.

٢- المؤمن العاقل لا يلتفت إلى حاسده ولا يعده شيئًا، إذ هو في وادٍ وذاك في وادٍ. ذاك يحسده على الدنيا، وهذا همته الآخرة، فيا بعد ما بين الواديين.

فصل: من أسرار الأقدار وحكمها

١- ينبغي لمن آمن بالله تعالى أن يسلم له في أفعاله. ويعلم أنه حكيم ومالك، وأنه لا يعبث. فإن خفيت عليه حكمه فعله نسب الجهل إلى نفسه، وسلم للحكيم المالك. فإذا طالبه العقل بحكمة الفعل قال: ما بانت لي، فيجب عليّ تسليم الأمر لمالكه.

٢- في الامتناع عن المشتهى دليل على الإيمان بوجود الناهي كصبر العطشان في رمضان عن الماء، فإنه دليل على الإيمان بوجود من أمر بالصوم. وتسليم النفوس إلى القتل والجهاد دليل على اليقين بالجزاء.

٣- يا معترضين وهم في غاية النقص على من لا عيب في فعله. أنتم في البداية من ماء وطين، وفي الثاني من ماء مهين، ثم تحملون الأنجاس على الدوام، ولو حبس عنكم الهواء لصرتم جيفًا. وكم من رأي يراه حازمكم فإذا عرضه على غيره تبين له قبح رأيه.

٤- قل أن يجري لأحد آفة إلا ويستحقها غير أن تلك الآفات المجازى بها غائبة عنا ورأينا الجزاء وحده. فسلِّم تسْلِمْ، واحذر كلمة اعتراض أو إضمار، فربما أخرجتك من دائرة الإسلام.

فصل: بين يوم العيد ويوم القيامة

١- رأيت الناس يوم العيد فشبهت الحال بالقيامة. فإنهم لما انتبهوا من نومهم خرجوا إلى عيدهم كخروج الموتى من قبورهم إلى حشرهم، فمنهم من زينته الغاية ومركبه النهاية، ومنهم المتوسط، ومنهم المرذول. وعلى هذا أحوال الناس يوم القيامة.

فصل: إعتبروا يا أولي الأبصار

إن الله عز وجل جعل لأحوال الأدمي أمثلة ليعتبر بها. فمن أمثلة أحواله القمر الذي يبتدئ صغيرًا، ثم يتكامل بدرًا، ثم يتناقص بانمحاق. وقد يطرأ عليه ما يفسده كالكسوف. فكذلك الأدمي أوله نطفة، ثم يترقى من الفساد إلى الصلاح، فإذا اتم كان بمنزلة البدر الكامل، ثم تناقص أحواله بالضعف، فربما هجم الموت قبل ذلك هجوم الكسوف على القمر.

فصل: الهوى العاجل

١- إنما فضل العقل بتأمل العواقب، فأما القليل العقل فإنه يرى الحال الحاضرة، ولا ينظر إلى عاقبتها.

فصل: صفوها عكر

١- من تأمل الدنيا عَلِمَ أنه ليس فيها لذة أصلًا، فإن وجدت لذة شيبت بالنغص التي تزيد على اللذة أضعافًا.

٢- من صبر على ما يكره قصد النفع في العاقبة التَذَّ أضعافًا، كطالب العلم فإنه يتعب يسيرًا وينال خير الدارين مع سلامة العاقبة. ولذة البطالة تعقب عدم العلم والعمل، فيزيد الأسى على اللذة أضعافًا.

٣- الله الله أن يغلبك هواك العاجل، ومتى هم الهوى بالتوبة فامنعه وزن عاجله بآجله، وما يتذكَّر إلا أولو الألباب.

فصل: الوقت كالسيف

١- الأيام مثل المزرعة، فكأنه قيل للإنسان: كلما بذرت حبة خرجنا لك ألف كر، فهل يجوز للعاقل أن يتوقف في البذر ويتوانى؟

فصل: في معاشرة النساء

١- لا ينبغي للمراة أن تَقْرَبَ من زوجها كثيرًا فَتُملَّ، ولا تبْعُد عنه فينساها.

من فصل خسر الدنيا والآخرة

١- لا عيش في الدنيا إلا للقنوع باليسير، فإنه كلما زاد الحرص على فضول العيش زاد الهم، وتشتت القلب ، واستعبد العبد.

فصل: قيمة السرور في الدنيا

١- من تلمح أحوال الدنيا، علم أن مراد الحق سبحانه اجتنابها. فمن مال إلى مباحها ليلتذ وجد مع كل فرحة ترحة، وإلى جانب كل راحة تعبًا، وآخر كل لذة نقصًا يزيد عليها. وما رفع شيء من الدنيا إلا ووضع.

٢- يعلم العاقل أن مراد الحق بهذا التكدير التنفير عن الدنيا، فيبقى أخذ البلغة منها ضرورة، وترك الشواغل، فيجتمع الهم في خدمة الحق، ومن البلغة منها ضرورة، وترك الشواغل، فيجتمع الهم في خدمة الحق. ومن عدل عن ذلك ندم على الفوات.

فصل: متفرقات ومتناثرات

١- العاقل يُدبر بعقله عيشته في الدنيا. فإن كان فقيرًا اجتهد في كسب وصناعة تكفه عن الذل للخلق، وقلل العلائق، واستعمل القناعة، فعاش سليمًا من منن الناس عزيزًا بينهم.

٢- إنما التدبير حفظ المال، والتوسط في الإنفاق، وكتمان ما لا يصلح إظهاره. ومن الغلط إطلاع الزوجة على قدر المال، فإنه إن كان قليلًا هان عندها الزوج، وإن كان كثيرًا طلبت زيادة الكسوة والحُلي.

وفي الختام

لا أجد أروع ولا أجمل من هذا الكلام وهو أيضًا من قول الإمام:

بحمد الله تعالى قد نجز ما توخاه الفكر الفاتر من تقييد ما جمعه القلم من «صيد الخاطر»، مقتصرًا فيه على ما به التخلي من الأمراض النفسية، والتحلي بالآداب الشرعية، والأخلاق المرضية.

جعله الله تعالى خير هادٍ على منبر الوعظ والإرشاد، وأنفع كتاب تجلَّى في مرايا الظهور لهداية العباد.

والحمد للّه أولًا وآخرًا

وصلى اللّه علي سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

* * *

الفهـــــرس

